



البَابُ الثَّالِثُ

وسائل انتقال الفكر اليهودي إلى التشيع المغالي



obeikandi.com

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

بعض الرجال

عبد الله بن سبأ؛

تجمع مصادر الشيعة القديمة فضلاً عن مصادر السنة على وجود هذه الشخصية، والدور الذي قامت به في الفتن الأولى بين المسلمين منذ مقتل الخليفة عثمان، كما أوردنا تفصيل ذلك في موضعه.

والحقيقة أنه لم يكن لعبد الله بن سبأ -اليهودي الأصل- وأفكاره وحدها الأثر في المسلمين، وإنما هناك أسماء عدة، ولكن لشهرته في موضع الفتنة والحرب بين المسلمين تركزت حوله الأنظار منذ القديم، وتناقلت المصادر أخباره وأفكاره، وعمت أفكاره على مجموع المعارضين آنذاك، كما أن فرق الشيعة ليست وحدها في وقوع أفكارها تحت تأثير بعض الشخصيات اليهودية، وإنما الحال قد حصل عند الشيعة وغيرهم من الفرق، كل حسب معتقده والظروف المحيطة به آنذاك، وربما لم يحفظ لنا التاريخ كل الشخصيات المؤثرة لسبب أو لآخر.

إن من المحقق عند المؤرخين اتصال العرب قبل الإسلام ومعرفتهم للشعوب السامية، وخاصة العبرانيين عن طريق قبائل الشمال (سوريا)، ثم عن طريق الجنوب (اليمن) والعراق، حيث انتشرت في هذه المناطق التعاليم اليهودية والنصرانية، وكانت كتبهم في متناول الراغبين وأحبار اليهود والنصارى وبيوتهم الدينية على تماس بالعرب على قدر مختلف^(١). فقبائل

(١) جواد علي، العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٧٤-٢٨٩.

وسط الجزيرة العربية أكثر بعداً عنهم، بينما القبائل العربية في اليمن والعراق ومصر والشام كانت أكثر قرباً واحتكاكاً بهذه التعاليم والمعتقدات^(١).

إن بعض القبائل العربية دخلت في الديانة النصرانية قبل الإسلام، وكان لها تعاليمها الدينية وكنائسها المعروفة في الشام والعراق ومصر... وبعد ظهور الإسلام دخل كثير من أفرادها في الإسلام، وكانوا أداة انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين على أقدار مختلفة في الزمان والمكان والمقولة الفكرية.

لقد ذكرنا أنه لا يمكن إنكار الأثر الواضح من الأسرائيليات والمعلومات المتعلقة بالأنساب الموجودة في التوراة والتلمود على مفكري المسلمين جميعاً، فكتب السير مليئة بالقصص المأخوذة من العهد القديم، بل إن أسماء الأنبياء وما ورد في حقهم في القرآن الكريم دفع المفسرين المسلمين لمعرفة المزيد عنهم وعن أنسابهم من المصادر اليهودية^(٢)، بل إن من المسلمين من قام بالنقل مباشرة من نصوص أهل الكتاب بشكل صريح وواضح ككعب الأخبار وهو يهودي دخل الإسلام، ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، وهؤلاء لهم صلة وقربة باليهود أو كانوا يهوداً. حتى من ولد من أبوين مسلمين من بعض المؤرخين المسلمين الأوائل اعتمد في مروياته على أهل الكتاب مثل محمد بن إسحاق صاحب السيرة، وقد سمى أهل الكتاب بأهل العلم الأول^(٣).

ومنهم أيضاً محمد بن سائب الكلبى وابنه هشام، وقد كان أبو يعقوب اليهودي من أهل تدمر يزورون الكلبى وغيره، ويعلمه بأخبار أهل الكتاب^(٤).

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) جواد علي: المصدر السابق.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٦.

(٤) الواقدي، الطبقات، ج ١، ص ٢٩، القسم الأول.

وقد ذكر الطبري في تفسيره: أن أناساً من اليهود كانوا يكتبون كتباً، فيبيعونها أو يحدثون بها العرب، لقاء ثمن قليل، وأماكن هذه الأخبار كانت تخص اليمن والمدينة (يثرب) والعراق والكوفة^(١).

لقد أصبح من المعلوم عند العلماء والمحققين أن الأفكار الإنسانية التي حملتها حضارات البشر من القديم وإلى اليوم، سواء وردت في كتبهم الدينية أو الفلسفية أو... ليست ملكاً لقوم دون آخرين، بل كل أدلى بدلوه فيها وطورها، وأضاف إليها وأخرجها بالشكل الملائم لحاجته وفكره، وفي بعض الأحيان تحصل استعارة لنص كامل كما سنرى برهان ذلك فيما بعد.

لا يعيب الإسلام - وهو دين الله الحق كما أوحى به إلى نبيه ﷺ - أن يقوم أهله وعلماءه بالاجتهاد مستعينين بذلك التوضيح على ما في الديانات السماوية الأخرى بالقدر الذي لا يخرج عن معنى الوحي المنزل، فمن شذ عن ذلك وذهب بعيداً في تبني فكرة لا صلة لها بالوحي كان له بقية العلماء بالمرصاد لإرجاعه إلى الحق، وإن أصاب أو لم يخطئ على الأقل سكت عنه، وقد بحث الأصوليون في مسألة شريعة أهل الكتاب، وهل أن من شرائعهم يُعدّ شرعاً لنا أيضاً.

لقد أثبت المحققون أن أفكار المذاهب الكلامية الأولى من قدرية وجبرية... كان سببها ومصدرها الأول ما عند أهل الكتاب من فكر مشابه لها، وليس هنا مكان بسط هذا الموضوع، كما أن كثيراً من العرب اليهود والنصارى كان لهم دور كبير في علوم الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات، وليس هنا بسط الكلام في هذا الباب.

(١) الطبري، تفسير، ج١، ص ٣٠٠، وج٣، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

إن المصادر القديمة ومنها الشيعة تكاد تكون مجمعة على وجود شخصية ابن سبأ، وأنه كان يهودياً من اليمن، أسلم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويبدو أن نشاطه السياسي والمذهبي منذ إسلامه ظل واضحاً لمن حوله، خاصة ما تعلق بيهوديته وأفكاره المتعلقة بالديانة اليهودية، التي حاول إدخالها وإقناع من حوله بها، ينقل الطبري تبرم الصحابي أبي الدرداء حيث قال له: من أنت؟ أظنك والله يهودياً. وطرده ابن عامر والي البصرة ^(١).

وتنقل ابن سبأ بين الكوفة والشام والبصرة، ولكنه استقر نسبياً بمصر، حيث وجد تربة بث فيها أفكاره على من تقموا على الخليفة.

إن أول من شكك في وجود شخصية عبد الله بن سبأ هم بعض المستشرقين، وبعض منهم ذهب إلى صحة وجوده، ولكن قلل من دوره الذي تعكسه المصادر العربية. فبرنالد لويس ينفي وجود هذه الشخصية، أما كيتاني المستشرق الإيطالي وفلاهورن الألماني فقد قللا من دوره الفكري، وأن المصادر تبالغ في نسبة كل فكرة مخالفة للإسلام لابن سبأ.

كما أن طه حسين ذهب إلى أن ابن سبأ لم يكن إلا وهمًا ^(٢).

ومن الشيعة المعاصرين الذين يذهبون إلى حقيقة وجود شخصية ابن سبأ محمد حسين العاملي في كتابه (الشيعة في التاريخ).

ويذهب المستشرق جولدزيهر إلى أن ابن سبأ أول من قال بتأليه الإمام علي رضي الله عنه ^(٣).

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص: ٣٤، ٢٨٣، ٣٢٦.

(٢) غلاة الشيعة، فتحي الزغبى، ص ٧٥-٨١.

(٣) العقيدة والشريعة، جولدزيهر، ص ٢٢٩.

لقد سلك بعض الباحثين الشيعة مجسداً إلى نفي وجود شخصية عبد الله بن سبأ بقصد مسبق، وهو التخلص من ادعاء أثره وآثار اليهودية على التشيع، وهو بحث عميق وجهد واسع مضن، تمنيت أن يكون هذا الجهد في الطريق الصحيح للوصول إلى النتيجة التاريخية الصحيحة؛ لما لها من آثار كبيرة على مسيرة العقائد وتطورها عند الشيعة خاصة، بل الأصح للعالم الإقرار بالحقيقة، فمسلك البحث في نفي شخصية ابن سبأ مسلك ليس فقط مناقضاً لمسلك حقائق التاريخ المتفق عليها عند علماء الشيعة والسنة (بل جميع الفرق الأخرى)، وإنما هو سباحة شاقة ومضنية عكس المنطق والفعل وطبيعة الأشياء، كما أوردناها في هذه المقدمة؛ وما عبد الله بن سبأ إلا لبنة صغيرة في جسر طويل زمنياً عبرت منه الكثير من أفكار وتعاليم أهل الكتاب وغيرهم من الأمم الأخرى، يؤيد ذلك ما سنورده من أدلة ملموسة في كتب الشيعة نفسها.

إن سنة الاستعارة والاقتباس بين البشر من سنن الله في خلقه منذ الأزل، وهذه حقيقة مثبتة عند الدارسين للحضارات القديمة والحديثة، وقد قامت على برهانها شواهد من القديم والحديث لا يمكن إنكارها وإن سار أي إنسان بخلاف ذلك. وكم من شخصية غير عبد الله بن سبأ كان لها أثر في انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين وفرقهم المختلفة، ولكن لم تعرف قطعاً أو أنها لم تشتهر كما اشتهرت شخصية ابن سبأ في التشيع.

إن عناصر الديانة اليهودية والنصرانية كما نقرؤها في مصادرهم اليوم هي الأخرى لا يمكن أن يدعي أنها أصيلة، إنما هي أفكار مقتبسة من أمم وحضارات قديمة. وقد قام الباحثون في مقارنة الأديان بدراسة هذه الأفكار، ووجدوا بينها تشابهاً كبيراً يدعو العالم إلى العجب والتمعن

واستخلاص العبرة والحقيقة التي ذكرناها، فمن فجر التدوين الذي وصلنا منه القليل عن الآشوريين والبابليين والفراعنة والعبرانيين وجميع الأمم السامية القديمة، وكذلك عند الأمم غير السامية من الإغريق والرومان نرى عناصر من هذه الحضارات وأفكارها، هي التي تكونت منها اليهودية مع تحويرات اقتضتها الظروف التاريخية والفكرية في وقتها. ولم يشذ التشيع ولا الفرق الأخرى عن ذلك⁽¹⁾.

أفكار عبد الله بن سبأ كما وردت عند الشيعة :

ذكر علماء الشيعة القدماء الباحثون في العراق ومنهم النوبختي شيعة الإمام علي عليه السلام، وأنها افتقرت بعد مقتله إلى فرق عدة، فالسبئية (نسبة إلى عبد الله بن سبأ) قالت: «إن علياً لم يقتل ولم يموت، ولا يقتل ولا يموت، حتى يسوق العرب بعصاه، ويملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أول فرقة في الإسلام قالت بالوقوف بعد النبي صلى الله عليه وآله من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب (عبد الله بن سبأ)، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة رضي الله عنهم وتبرأ منهم وقال: إن علياً عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي عليه السلام فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أقتل رجلاً يدعو إلى حاكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك، فصيره إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام بمثل ذلك، وهو أول من شهد القول بفرض إمامة علي عليه السلام، وأظهر البراءة

(1) Roberson smith, Kinship and marriage, London, 1903, PP.204.

من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية. ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي عليه السلام بالمدائن، قال للذي نعا: كذبت لو جئنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يموت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض^(١). وقد نقلنا كلام النوبختي كما ورد، ومنه نفهم ما يأتي:

«إن السبئية أول فرقة شيعية من الغلاة ومقولاتها التي ذكرها هي مقولات الشيعة الغلاة. وذلك أن النوبختي سبق أن ذكر وهو يعدد فرق الشيعة: وفرقة قالت: إن علياً كان أولى الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس لفضله وسابقتها وعلمه، وهو أفضل الناس كلهم بعده، وأشجعهم وأسخاهم وأورعهم وأزهدهم، وأجازوا مع ذلك إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعدوهما أهلاً لذلك المكان والمقام، وذكروا أن علياً عليه السلام سلم لهما الأمر، ورضي بذلك وبايعهما طائفاً غير مكره وترك حقه لهما، فتحن راضون كما رضي الله المسلمين له ولن بايع لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع منا أحداً إلا ذلك، وإن ولاية أبي بكر رضي الله عنه صارت رشداً وهدى، لتسليم علي عليه السلام ورضاه، ولولا رضاه وتسليمه لكان أبو بكر رضي الله عنه مخطئاً ضالاً هالكا، وهم أوائل البتية^(٢). فهؤلاء هم شيعة علي عليه السلام الأوائل الذين لم تصبهم رياح التغيير، ولم تدخل عليهم عناصر الفكر الأجنبي من اليهودية أو الفارسية.

إن الشيعة السبئية الغلاة هم أول فرقة شيعية قالت بفكرة (الوقف) بعد النبي صلى الله عليه وآله. أي توقفت عند نبوته ولم تقر بموته وأنه سيرجع. ومن هنا نفهم أن فكرة الوقف خرج منها بالضرورة فكرة الرجعة، وهذا يقود إلى فكرة الغيبة. على مقولة: إنهم يتوقفون عند موته فلا يقرون لإمام بعده؛

(١) النوبختي. الفرق. ص ٤٣-٤٤.

(٢) النوبختي. الفرق. ص ٤١-٤٢.

لأنه لم يمت وإنما اختفى وغاب وسيرجع بعدئذ لموضعه في إمامة المسلمين، فلا تحل لأحد بعده. وهذه الأفكار الثلاث هي الخميرة الصغيرة الأولى التي بذرها عبد الله بن سبأ. وتكررت هذه الأفكار في التراث الفكري الشيعي عند فرق مختلفة، واتسعت تبريراتها وكثرت المقالات والاحتجاجات حولها، كما هو معلوم هذا الحال عند وفاة النبي ﷺ؛ لأن ابن سبأ احتج ضد من خالفه بالآية ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وقال: عجباً لمن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع^(١). وهذه فكرة معزية حقاً لكل من فقد حبيباً له ينكر أنه مات ويتعلق بوهم رجعته، وما هي إلا غيبة يسيرة وسيعود، ومن الوفاء وجوب الانتظار.

تذكر الروايات أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه وفاة رسول الله ﷺ أنكر ذلك على من بلغه، وكأنه يرى أن مركز النبوة والعظمة المحيطة من الله لرسوله ﷺ تمنع من موته، ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رد على عمر رضي الله عنه بالآية الكريمة: ﴿أَفَايُن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾.

تجمع المصادر التاريخية على أن ابن سبأ كان يهودياً فأسلم، وصاحب هذه المقالة على علم بالتعاليم اليهودية، فمن أين استعار ابن سبأ هذه الفكرة؟ لقد وردت هذه الفكرة ببساطة في التوراة تحكي قصة بني إسرائيل لما أخرجهم موسى عليه السلام من مصر وقادهم إلى سيناء وذهب إلى موعد ربه؛ لتسلم تعاليم الألواح وأتاب أخاه في قومه، فتأخر في الرجوع إليهم. تقول التوراة: «ولما رأى الشعب أن موسى عليه السلام أبطأ في النزول من الجبل اجتمع

(١) الطبري. تاريخ. ج ٢. ص ٣٧٨.

الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا إلهًا....» فلما صنع لهم عجلًا له خوار، قالوا له: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ كما يحكي القرآن الكريم عنهم، فالفائد فقده قومه وتاهوا لا يعلمون عنه شيئاً، ولكنهم متعلقون به، وأنه سيرجع مؤكداً بعد غيبته.

كما تكرر تعلق اليهود بشخصية ستقذهم مما هم فيه من مهانة وعبودية بعد سبيهم من قبل نبوخذ نصر وتهديم هيكلهم في القدس (٥٩٨ قبل الميلاد)، فظهرت نبوءاتهم القائلة بظهور المسيا الذي سيظهر، فينتقم من أعدائهم وسيجمع شملهم ويقىم دولتهم^(١).

وربما قد استعار اليهود هذه الفكرة من الديانة الزرادشتية المنتشرة في العراق واليمن وقت خضوعهما للنفوذ الفارسي أمداً طويلاً. كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

يعتقد اليهود أن نبي الله إيليا لم يموت، إنما رفعه الله إلى السماء، وأنه سيعود في آخر الزمان وأن غيبته إنما هي إرادة من الله^(٢).

إن عبد الله بن سبأ أول من قال بفكرة كون الإمام علي رضي الله عنه وصي رسول الله ﷺ وإن منزلة علي رضي الله عنه في الإمامة كمنزلة يوشع بن نون من موسى عليه السلام بمعنى أن موسى عليه السلام أوصى له بعده. وإن ابن سبأ أول من أظهر للملأ الطعن على خصوم علي رضي الله عنه فكشف القول المنكر الذي لم يستطع الإمام علي رضي الله عنه بزعمه البوح به؟ وهذه كلها كانت بذوراً صغيرة بذرها ابن سبأ والمعارضة عمومًا كان لها الأثر الكبير في التشيع، حيث تلقفها من بعده

(١) Enc. Islamica ;al-masih, Ghoyboh.

(٢) جولدزهر. العقيدة والشرعية. ص ١٩٢.

غلاة الشيعة، وبنوا حولها الطعن على صحابة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كما نعلم.

إن عبد الله بن سبأ إضافة إلى كونه يهودياً عارفاً بالعقيدة اليهودية فإن أصله من اليمن كما ذكرنا، وقد كان اليمن يحكم من قبل الفرس وكانت الزرادشتية وتعاليمها مختلطة بالأفكار اليهودية، فليس ببعيد أن ابن سبأ قد استعار فكرة الغيبة ومجيء المنتظر من الديانة الزرادشتية، بل إن اليهودية قد تأثرت كثيراً بالديانة الفارسية القديمة، حيث تسربت تعاليم الزرادشتيين إلى أقوال الربان (رجال دين اليهود) الذين أدخلوها حين تدوينهم للتلمود البابلي في العراق (بابل).

لقد ذكرنا قول النوبختي: أن ابن سبأ رفض تصديق مقتل الإمام علي رضي الله عنه، وأنه لن يموت حتى يملك الأرض، وهذا يعني أنه ربما غاب وسيعود ليملك الأرض طبعاً. وهذه إشارة إلى فكرة الغيبة والرجعة بعدها، فمن أين جاء مصدر هذه الأفكار؟

نقلنا: إن فكرة رجوع النبي إيليا عند اليهود، وأنه إنما غاب في السماء وسيعود في آخر الزمان، وهذه النبوءة اليهودية اقتبسها اليهود من الفرس عند تدوين التلمود بعد السبي البابلي، وتعرضهم للمهانة والشتات في العراق وفارس، فهم في حال يتعلقون بأمل مستقبلي لزعيم يظهر ليقودهم من جديد، كما قادهم موسى عليه السلام، وأنقذهم من نير العبودية عند المصريين، وسينتقم من أعدائهم وكل من تسبب في آلامهم. وعقيدة الفرس الزرادشتية القديمة تؤمن بظهور الابن الإلهي من ولد بشتاسف بن بهراسف اسمه الشوثن، وأنه غائب في حصن عظيم بين خراسان والصين وأنه سيظهر آخر الزمان^(١).

(١) القاضي عبد الجبار. تثبيت دلائل النبوة. ج ١. ص ١٧٩.

إن اليهود في العراق لا بد أنهم سمعوا هذه الفكرة من الفرس، وهم في أمس الحاجة لها خاصة رؤساءهم وأخبارهم من أجل أن يطمئنوا أتباعهم بأنهم لا بد عائدون إلى أورشليم، ويقيمون الهيكل المهدم، ويتعبدون مرة أخرى في ظل قيادة خارقة قوية تمت كل الشرور في النفوس، ويسود الأرض السلام، وادعى أخبار اليهود أن إلههم يهوه قد وعدهم بذلك، وأنه سيظهر (المسيا) كيف؟ ورد في سفر أشعيا: «العدراء تحبل ولداً ابناً. يولد لنا ابن ونعطي ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيب، ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، يجلس على كرسي داود وعلى مملكته؛ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد....»^(١).

ثم يتكلم السفر عن كيفية قضاء هذا المنقذ القائم، فيقول: «..... فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه....».

وحينما يستتب الأمر لهذا القائم المنتظر تبدأ حقبة السلام، فيقول السفر: «.... فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسن معاً. وصبي يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقرة يأكل تبناً ويلعب الرضيع على سرب الصل، ويمد الفطيم يده إلى جحر الأفعوان.....» «... ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية؛ ليقبض بقية شعبه، التي بقيت في آشور ومن مصر... ويرفع راية للأمم، ويجمع منفيي إسرائيل....»^(٢).

(١) أشعيا. الإصحاح: آية ٦-٧.

(٢) سفر أشعيا ١٥:٧، الإصحاح ٦:٩-٧ و ١١:١-١٠.

وبسبب هذه التنبؤات والأمانى المنتشرة بين اليهود بفارس والعراق ظهر أدياء كثر بأنهم القائم المنتظر. ففي القرن الثامن الميلادي ظهر في بلدة شيربه الفارسية رجل ادعى أنه المسيح المنتظر، ووعد بعودة اليهود إلى فلسطين، وتكرر في القرن نفسه أيضاً ظهور يهودي اسمه أبو عيسى في بلدة أصفهان ادعى أنه المسيح وجمع جيشاً من عشرة آلاف مقاتل من اليهود منتهزاً فرصة انشغال الدولة العباسية في عهد أبي العباس السفاح، ولكن الخليفة المنصور فيما بعد شتت جيشه واختفى أبو عيسى. وفي القرن السابع عشر ظهر في سالونيك رجل يهودي اسمه سبتاي زئيفي ادعى أنه المسيح المخلص لليهود من الظلم الذي لحقهم على أيدي الأوربيين، وتبعه الكثيرون الذين راحوا يبيعون ممتلكاتهم (١٦٢٦م) لأجل العودة إلى فلسطين، وقد انتهى به الأمر إلى السجن في قلعة الدردنيل حتى رجع عن مقولته وأسلم، وسمى نفسه محمد أفندي^(١).

إن الحاجة البشرية هي الدافع الأول في نشأة العقائد عند جميع الفرق في الأمم جميعاً، وإن أكثر الحاجات البشرية إلحاحاً هي الاستقرار والأمان على الأرواح والأموال والمعتقد السابق الموروث.

وهذه كلها تجمعها الدوافع السياسية عند البشر.

جمعت حولها كثيراً من المعارضين للحكم على اختلاف أغراضهم. ويبدو أن المصادر التاريخية والرواة الذين دونوا أخبار السبئية ربما عموماً أفكار المخالفين للحكم وأطلقوا عليهم السبئية؛ لغلبة هذه الفرقة أو المجموعة على المعارضة وقتها.

(١) أحمد شلبي. مقارنة الأديان. اليهودية. ص ١٩٣ وما بعدها.

أ- ذكر الكشي في كتابه الرجال (القرن الرابع الهجري)، وهو من الكتب الموثقة عند الشيعة، روايات عدة عن الإمام الصادق وعن الإمام علي ابن الحسين عليه السلام أنهم يلعنون فيها عبد الله بن سبأ بسبب مقالاته المنكرة في ربوبية علي بن أبي طالب عليه السلام ويرمون به بالكذب^(١)، وأورد الكشي في كتاب الرجال الاتهامات نفسها، وذكر الاسترأبادي في منهج المقال: أن الإمام علياً عليه السلام أحرق ابن سبأ لأفكاره وغلوه، وقد ذكر ذلك أيضاً كل من سعد القمي في كتاب المقالات والفرق، والشيخ الطوسي في كتابه الرجال، والتستري في قاموس الرجال، وعباس القمي في تحفة الأحباب، والخونساري في روضات الجنان، وكلها كتب موثقة شيعية إمامية، ولم يشك أحد في وجود هذه الشخصية إلا أخيراً.

من أوائل من تشكك في وجود شخصية عبد الله بن سبأ المستشرق برنارد لويس (في كتابه عن أصول الإسماعيلية)، وذلك استناداً إلى أن الآراء المنقولة عن ابن سبأ لم تكن آراء سنة ٣٥هـ التاريخ الذي نسب عند ظهوره، وإنما هي آراء ظهرت أخيراً بعد أكثر من قرن، وتابعهم في هذا الشك طه حسين وغيره من العرب.

والحقيقة لا يمنع القول بوجود ابن سبأ كون الأفكار المنقولة عنه أفكار القرن اللاحق له بحجة أنها عند التحقيق لم تظهر في عصره، وهذا القول فيه جانب كبير من الحقيقة، وذلك أن ابن سبأ كان موجوداً وحقيقياً، ولكن لم تكن جميع الآراء التي نسبت إليه قد قال بها. ولكن إذا جمعنا شتى الظروف تبين لنا أن هذه الأقوال مستمدة من الفلسفة، وما عند الديانات السابقة وعلى خلافهم، فإن أوائل المستشرقين قد أقروا بوجود

(١) الكشي، رجال، ص ١٠٠.

هذه الشخصية اليهودية مثل يوليوس فلهاوزن، حيث قال: «ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان علي والحسين عليهما السلام وتنسب إلى عبد الله بن سبأ، وكما يتضح من اسمه الغريب فإنه كان يمينياً، والواقع أنه من صنعاء، وهذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية..»^(١).

زرارة بن أعين بن سنسن (من موالي الكوفة).

كان أبوه عبداً رومياً لرجل من بني شيبان، فعرض الشيباني على عبده أعين أن يُسمّى باسمه (الشيباني) على عادة العرب، حيث كانوا يمنحون لقبهم لمواليهم بعد إسلامهم فرفض أعين، وقال لمولاه: أبقني على ولائي سنسن راهباً في بلد الروم^(٢). وقد أعدّه النجاشي (شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدميهم وكان قارئاً فقيهاً متكلماً)^(٣). وذكر أن له تصانيف وكتباً، ومن كتبه التي يبدو أنها نُقِلَ من فكر أهل الكتاب إلى الفكر الإسلامي (كتاب الاستطاعة والجبر والعهود)، وقد سبق أن ذكرنا أن أول من تكلم في هذه الموضوعات هم أولئك الرجال الذين كانوا على علم بالديانات السماوية، فنقلوا إلى الفكر الإسلامي تلك المقولات في علم الكلام خاصة.

وقد شهد الإمام الصادق على زرارة بأنه ليس فقط من النصارى أو اليهود، بل هو شر منهم؛ لقبح المقالات التي أدخلها، وادعى أن الصادق والباقر قد قالا بها^(٤). وقد تحايل زرارة على الإمام الصادق، فذكر أن الإمام أعطاه الاستطاعة من حيث لا يعلم، أي إن الصادق أقر بفكرة

(١) انظر يوليوس فلهاوزن والخوارج والشيعة، ص ١٧٠، ترجمة عبد الرحمن بدوي.

(٢) الطوسي، الفهرست، ص ١٤١.

(٣) النجاشي، رجال، ص ١٢٥.

(٤) الكشي، رجال، ص ١٦٠.

الاستطاعة عند الإنسان وأنه غير مجبر، وما ذلك إلا من المؤثرات السابقة والمختصرة بفكر زرارة وأهله، فقد ذكرنا أيضاً أنه اعترف بأن جده سنسن كان راهباً في بلد الروم.

إن آل أعين من البيوت الكبيرة في الكوفة كما يبدو من مصادر الشيعة؛ لأن الأخبار تفيد أن لزراعة جماعة يترددون عليه ذكر منهم يزيد بن معاوية العجلي وغيره، وقد رد الإمام الصادق على أحد السائلين لما عليه أهل الكتاب، فأجابه أن هذه من مسائل زرارة. وعلق الصادق على ذلك قائلاً: إن آل أعين يريدون أن يكونوا على غلب^(١). ومن أتباع زرارة أيضاً يونس (ابن ضبان)، وقد لعنه الصادق أيضاً لاتباعه مقالات زرارة، وكذلك يذكر معهم أبو بصير والليث بن البحتري المرادي.

بيان بن سمعان النهدي اليمني:

انتقل بيان من اليمن إلى الكوفة، وكان من أتباع حمزة سالف الذكر، وكان يعمل تباناً بالكوفة، ينسب له مع الجعد بن درهم القول بخلق القرآن، وادعى بيان أن ابن الحنفية قد أوصى له، وأن الأمانة في عقبه، ثم ادعى كذلك النبوة، وقال متأولاً: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وذكر أنه أرسل للإمام محمد الباقر رسالة يدعي فيها النبوة، وطلب من الباقر اتباعه، وسلم رسالته عمر بن عفيف فرد عليه الباقر: أن يأكل قرطاسه، ونسب إليه القول بحلول الألوهية في الإمام علي عليه السلام، وأن علياً عليه السلام هو الذي أرسله نبياً. ثم ادعى نفسه الألوهية عن طريق التناسخ الذي انتقل من الإمام

(١) الكشي، رجال، ص ١٣٤.

علي عليه السلام إلى ابنه محمد ابن الحنفية، ثم إلى هاشم بن محمد، ثم لبيان نفسه، وهذا صريح مذهب الحلول المعروف عند الهندوسية والزرادشتية، ويذكر أن بياناً سبق هشام بن الحكم القول بتشبيه الخالق بالجسم تعالى الله عن ذلك، ولكن بيان وخمسة عشر من أصحابه حرقهم الوالي خالد بن عبد الله القسري في الكوفة، وذلك سنة ١١٩ هـ^(١).

محمد بن نصير النميري:

قد انشق عن الإمامية وكان صاحب الإمام الحسن العسكري، وذكر النوبختي: أنه ادعى النبوة، وذكر البعض أن طائفة النصيرية تنسب إليه، ويذكر أن خلفاء النصيري هذا استمروا على مذهبه، وهم محمد بن جندب والحسين بن حمدان الخصيبي، وبعده بختيار بن معز الدولة البويهدي الديلمي الفارسي، وقد توفي محمد بن نصير سنة ٢٦٠ هـ، ونسب له أن روح الله قد حلت به، بل ذكر عنه ألوهية الإمام الحسن العسكري، وأنه قال بإباحة المحارم. كما نسب له النوبختي تحليله نكاح الرجال، ونسب لفرقة النصيرية القول بالتناسخ للأرواح والإلهية للأنبياء والأئمة من دور إلى دور، وذلك إلى يوم الحساب^(٢). كما نسب إلى النصيرية عبادة السماء والقمر وعبادة الهواء، وهذه تُعدُّ حقيقتها في رأيهم متجسدة في الإمام علي عليه السلام نفسه، قال بعضهم: إن السواد في القمر هو علي بن أبي طالب، ولكنه محجوب عن الأعين، فالقمر هو علي عليه السلام ذاته، وعبادة القمر هي عبادة علي

(١) فتحي الزغبى، غلاة الشيعة، ص ١٣٤.

(٢) فتحي الزغبى، غلاة الشيعة، ص ٢٦٠.

ﷺ، فهو الرب والإله^(١). والعناصر المجوسية الفارسية واضحة في عقيدتهم، بل إن عبادة القمر لدى الآشوريين والبابليين ولدى العرب في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام كما سبق، وأن علمنا ذلك واضحة جلية في معتقداتهم.

رواة الشيعة الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب.

نقل كثير من الرواة الشيعة عناصر من عقيدة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وادعوا أنهم سمعوها من الأئمة. ويبدو أن أكثر العناصر الأجنبية التي دخلت على التشيع كانت من قبل عناصر فارسية؛ لأن أكثرية الرواة كانوا من الموالي الفرس، نقلوا أفكارهم وأفكار آبائهم وأجدادهم الأقدمين؛ لحاجتهم إليها في الاحتجاج إلى دعوتهم أو مشاركاتهم في الثورات، التي قامت ضد الدولة الأموية أو العباسية. ومع ذلك لم يسلم التشيع من دخول عناصر من عقيدة وأفكار أهل الكتاب خاصة اليهود، ذلك أن رجال الشيعة كانوا على مقربة من الجاليات اليهودية، التي كانت منبثة في العراق، خاصة في المدن القديمة التي سبق للفرس أن شجعوا اليهود أو منحوهم الحماية لاستيطانها كاردشير وماخوزا (المدائن) وطيسفون وشكنزب وسورا ويمباديتا ومخوزا (سلوفية) وغيرها من المدن الفارسية مثل ميديا التي ورد اسمها والجاليات اليهودية التي كانت تسكنها وأسماء الأبحار اليهود الذين كانوا يترددون على هذه الجاليات، لتفقد رعاياهم كل ذلك برعاية من الدولة الكسروية، وكان في بلاط كسرى في المدائن ممثل للجاليات اليهودية (سفير)^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٢) كرسنتس. إيران في العهد الساساني. ص ٢٤ ترجمة الخشاب.

يبدو أنه حتى المدن التي أسسها الجيش العربي الإسلامي أيام الفتح لم تسلم بعد ذلك من سكن اليهود بين ظهراني العرب والمسلمين عامة؛ لما عرف من تسامح أهل البلاد المفتوحة منذ القدم مع هذه الأمم والديانات. ذكر الكشي أن الإمام الصادق قال يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها، يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريف. إن المغيرة كذب على أبي، فسلبه الله الإيمان...»^(١). وقد مثل الإمام جعفر الصادق المغيرة بن سعيد مثل بلعم بن عورا عند اليهود الذي قال المفسرون: إنه هو المقصود بالآية الكريمة: ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱسْلَخْ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِينَ﴾^(٢).

وقد كان المغيرة هذا من أهل الكوفة، واليهودية التي يتردد عليها لم تكن طبعاً تسكن وحدها، لما عرف عن اليهود أنهم يسكنون جماعات لا أفراداً إلى يومنا هذا في كل مكان. والتردد لم يكن هدفه الأساسي إلا فكراً تعليمياً، فهل كان المغيرة يلتقي معها فقط أم مع قومها أيضاً، فيتعلم منهم ولا بد أن المغيرة بن سعيد لم يكن هو الوحيد في الكوفة الذي يصنع ذلك، وإنما يقتضي الحال كل من كان على شاكلته وأصحابه. ولمعرفة مدى أثر المغيرة بن سعيد في الفكر الشيعي وما دسه من أفكار مغالية يجب تتبع مروياته في الحديث الموثقة في كتب حديث الشيعة، فإما ترى كم من الأحاديث دسها المغيرة؟ ذكر في مقدمة تنقيح المقال، وهو من كتب الرجال المعتمدة عند الشيعة: أن المغيرة نفسه اعترف قائلاً: «قد دسست في أخباركم أخباراً كثيرة تقرب من مئة ألف حديث»^(٣).

(١) الكشي. رجال. ص ١٩٦.

(٢) الكشي. رجال. ص ١٩٨.

(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج ١. ص ١٧٤ (النجف).

هشام بن الحكم:

إن الإمام الصادق كان على علم ممن ينتحل التشيع، ويدس به الأفكار والعقائد الأجنبية، وخاصة من أولئك الموالى الذين يأخذون من أهل الكتاب، والذين أسلموا ظاهراً، ولكنهم استمروا على بعض عقائدهم القديمة وأصروا عليها. ومنهم هشام بن الحكم مولى كندة وجماعته الذين نسبوا إلى مقولته في التشبيه والتجسيم للخالق تعالى الله عن ذلك وقد سبق أن أشرنا إلى الحديث عنه في هذا البحث وكان من أهل الكوفة، وقد سكن بغداد، وخلاصة أقواله في التجسيم ما يأتي:

إن الله جسم وصورة، واحتج بأن الأشياء جسم وفعل، فلا يجوز أن يكون الله الصانع هو الفعل، بل هو الجسم.

وقد زعم أن الخالق بوصفه جسمًا، فإن له طولاً وعرضاً: كبقية الأجسام، وزعم أن طول ربه سبعة أشبار (بشبر نفسه).

إن علم الله محدث.

إن الإنسان مجبر جبراً شديداً.

إن الله نور ساطع يتلألاً كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها.

إن الله ذو طعم ورائحة ومجسة.

كان الله ولا مكان، فلما تحرك حدث المكان.

إن الله يعلم ما تحت الثرى بالإشعاع.

إن علم الله صفة له، وعلمه لا محدث ولا قديم، والصفة لا توصف.

إن الأنبياء يعصون ربهم. ويرى عصمة الأئمة من الذنوب، بدليل أخذ الرسول ﷺ الفداء من الأسرى. فإن أخطأ النبي سدد الله بالوحي. أما الإمام فمعصوم فلا يحتاج إلى وحي يسدده. وهو يؤمن بإمامة علي عليه السلام، كما يراها الشيعة الإمامية.

وهذه الآراء ليست فقط أفكار هشام بن الحكم إنما أيضاً نسبت أو بعضها لرواة من الشيعة أمثال يونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول ومحمد بن النعمان صاحب الطاق ومحمد بن جعفر بن محمد الأسدي الكوفي وهارون بن سعدان وعلي بن ميثم التمار وغيرهم كثير في مدرسة التجسيم والتشبيه^(١).

صفات الإله عند اليهود وتشابها بما يقول هشام بن الحكم وأصحابه.

علم الله موسى وأصحابه من اليهود عدم التصريح باسم الإله (يهوه) احتراماً له، وأن يكتفوا بالإشارة له، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى التشيع الإمامي، فمن التعاليم عندهم عدم التصريح باسم الإمام الثاني عشر، بل الاكتفاء بلقبه أو الإشارة إليه بالقائم. الغائب. صاحب السرداب.

عند خروج بني إسرائيل من مصر كان (الرب) يسير أمامهم في عمود سحاب نهاراً؛ ليهديهم في البرية، وليلاً في عمود نار.

حينما صعد موسى وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف، كذات السماء من النقاوة.

(١) الكشي. رجال. ص ٢٧٠-٢٧٨. والمامقاني. تنقيح المقال. ج ٢. ص ٢٩٨-٢٩٩.

وقد استعار هشام بن الحكم صورة العقيق الأزرق، فاستبدلها باللؤلؤ المضيء بالنور.

هيكل سليمان الذي يعبد اليهود هو مقر الإله يهوه، وزخرفة هذا الهيكل وتجسيمه قد أودعته الأنبياء كما يدعون، فهو مسكن الأرواح، وبه المذبح حيث قتل قائد جيش النبي سليمان عليه السلام، وهو ممسك بقرون العجل رمز عبوديتهم ليهوه إلههم. وبسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل سمى اليهود عزرا (ابن الله) ^(١).

وجاء في التوراة: أن الله قد خلق آدم على هيئته، أو على صورته.

وقد نقلت المصادر القديمة مقالات كثيرة من غلاة الشيعة في الكوفة، منهم حمزة بن عمار البربري، فقد ذكر النوبختي: أن هذا ادعى النبوة، وأن المختار هو الله (تعالى الله عن ذلك) وقيل: إنه قد نكح ابنته وأحل المحارم، ونقل عنه: أنه من عرف إمامه فليصنع ما شاء. ويذكر النوبختي: أنه قد تبعه رجلان من نهد: الأول صائد، والثاني اسمه بيان ^(٢).

ومن هؤلاء في الكوفة أيضاً عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، ويقال: إنه من تلاميذ عبد الله بن سبأ، فهو الذي قال برجعة محمد ابن الحنفية، والقول بالأسباط الأئمة الأربعة علي والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية. وذكر عنه أنه قد تأول هؤلاء الأربعة من الآية: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ حيث إن الله أقسم بهم. وهؤلاء الأسباط هم الذين عناهم السيد الحميري:

(١) فتحى الزغبى. غلاة الشيعة. ص ١٢٨-١٣٠.

(٢) النوبختي. فرق الشيعة ص ٢٥.

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء

وادعى ابن حرب هذا رجعة ابن الحنفية ويده معجزته سيف كعصا موسى، فيhez سيفه دون قرن الشمس، يراه جميع أهل الأرض وأهل السماء. كما ادعى ابن حرب: أن روح الله التي تناسخت في الأنبياء والأئمة، ومنهم ابن الحنفية انتقلت فحلت به^(١).

إن أثر العقائد والأفكار القديمة استمر مؤثراً على التشيع حتى في العصور المتأخرة، وما انشقاق فرقة البابية من المذهب (الاثني عشري الشيعي) إلا مظهراً من هذه المظاهر، حيث ادعى الميرزا علي محمد في شيراز أولاً أنه هو الباب المقصود في المذهب، ثم ادعى أنه هو الإمام المنتظر عند الشيعة، ثم تجرأ وادعى النبوة ونسخ شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ.

وسنتعرض لهذه الفرقة في موضعه إن شاء الله، حيث انحرفت هذه الفرقة، واقتربت من مذهب الإسماعيلية في التأويل للجنة والنار ويوم القيامة، ومالت إلى فكرة التناسخ.

مالك بن الأشتر النخعي

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي عليه السلام، ونسبه بعضهم إلى السبئية والقول بمقالة عبد الله بن سبأ، ذكر ذلك محمد بن يحيى الماقي في كتابه التمهيد والبيان. ومالك بن الأشتر من قبيلة مذحج من النخع. وله أدوار قتالية في جيش الإمام علي في الكوفة. وقيل: إن الخليفة عثمان رضي الله عنه سبق

(١) المصدر السابق.

أن غضب عليه وضربه. وفي سنة ٣٨هـ من خلافة الإمام علي رضي الله عنه ولاه الإمام على مصر، وكتب له كتاباً سمي (عهد الإمام علي ممالك الأشر في توليه لمصر)، ذكر في نهج البلاغة يشتمل على توجيهات ونصائح سياسية. ولكن قبل وصول مالك الأشر لمصر توفى في الطريق. قيل: توفى مسموماً، كما تدعي المصادر الشيعية، التي ضخمت هذا العهد إلى درجة أنه أمسى مصدرًا من مصادر دستور الحكومة الإسلامية في إيران، ولا أدل على هذا التفخيم من اختلاف المصادر والرواة في نص هذا العهد.

الأسود بن يزيد

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونسب إليه أيضاً أنه من جملة السبئية التي قالت بمقولة عبد الله بن سبأ، ذكر ذلك محمد ابن يحيى الملقى في كتابه التمهيد والبيان. والحقيقة أن أمثال هؤلاء كثير، وكان الإخباريون يطلقون عليهم اسم السبئية.

عمرو بن ثابت بن هرمز البكري (ت ١٧٢هـ)

وشهرته ابن أبي المقداد العجلي:

وهو من موالي عجل. روى عن أبيه وعن أبي إسحاق السبيعي والأعمش وسماك بن حرب وغيرهم. أما الذين رووا عنه فقد ذكر منهم أبو داود الطيالسي ويحيى بن بكير وسعيد بن منصور وعباد بن يعقوب الرواجي وغيرهم^(١).

(١) د. سعدي الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ٢١٢ وما بعدها.

هذا ولم يوثقه البخاري، وقاله عنه النسائي: إنه متروك الحديث. وقال عنه أبو أحمد الحاكم: إن حديثه ليس بمستقيم. وضعفه يحيى بن معين وقال: إنه ليس بشيء. ولكن أباه ثقة، حيث روى أبوه عن شعبة وسفيان الثوري. وذكر عنه أبو زرعة أنه شديد التشيع واهي الحديث. وذكره ابن حبان في الوضاعين. وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل أيضاً: إنه كان يشتم عثمان. وترك ابن المبارك حديثه، وإنه كان يقدم الإمام علياً عليه السلام على الشيخين.

ومن المناكير التي رواها أن النبي صلى الله عليه وآله لما مات كفر الناس إلا خمسة، وفي رواية عنه أيضاً إلا أربعة. وقد سبق تناول هذه الرواية وقول الشيعة فيها. وذكر ابن المبارك سبب كون حديثه متروكاً أنه يسبب صحابة الرسول صلى الله عليه وآله.

أما كتب الشيعة فتذكره في أصحاب الإمام محمد الباقر، وتذكر أن الباقر أو الصادق هو الذي سماه عمرو بن أبي المقداد، وهو مولى عجل كوفي تابعي. وأكثر محدثي الشيعة على توثيقه، لكن ابن الغضائري عده من المجروحين في كتابه الضعفاء والمذمومين. وذكر الخوئي أن المروي عن عمرو ابن أبي المقداد يبلغ نحو خمسين مورداً.

من ورد عنهم الوصية للإمام علي عليه السلام:

١- كدير بن قتادة الضبي المختلف في صحبته. وعند المحدثين يروي المراسيل، وعند أكثر المحدثين أنه تابعي. ذكر الحافظ العقيلي رواية عن سماك بن سلمة أنه دخل على كدير بيته فسمعه يقول في الصلاة: سلام على النبي والوحي. وقد وضعفه البخاري. وقال عنه الجوزجاني: إنه كان زائغاً^(١).

٢- الأصبغ بن نباتة الكوفي التميمي. وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، عيَّنه على شرطة الخميس قائداً. ومصادر السنة لا توثقه وتعده متروك

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. ج ٢ - ٤٦.

الحديث وغير ثقة، وبخلافهم مصادر الشيعة كما سيأتي تفصيل ذلك، وقد روى أحاديث منكورة وخارجة عن المعقول، ومما يتعلق منها بالوصية روايته عن الإمام علي عليه السلام: «إن لله ملكاً في صورة الديك الأملح الأشهب، براثنه في الأرض السابعة، وعرفه تحت العرش له جناحان..... فكلما حضر وقت الصلاة قام الديك... ثم نادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، وأن وصيّه خير الوصيين.. فلا يبقى في الأرض ديك إلا أجابه..»^(١).

وقد ورد في تفسير فرات أحد تفاسير الشيعة رواية مرفوعة عن الأصبح ابن نباتة عن سلمان الفارسي قوله: «أقسم بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول لعلي: يا علي، أنت والأوصياء من بعدي». أو قال: «من بعدك لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم وأعرافه لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه»^(٢).

من ورد عنهم القول بفكرة الرجعة :

يقصد بالرجعة هنا رجوع الميت إلى الحياة مرة أخرى، وقد كانت الفكرة عند أمم سابقة قبل الإسلام سبق أن تناولناها في موضعها، وكان أخصها وأقربها فكرة رجوع سيدنا المسيح وكونه لم يموت.

وأول ما ظهرت فكرة الرجعة بين المسلمين كانت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حيث ذكر بعضهم أنه سيرجع، ونسب ذلك إلى عبد الله بن سبأ والسبئية

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. ج ٤٢ - ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٤.

عموماً. ثم ذكرت أيضاً بعد موت الإمام علي عليه السلام وأنه سيرجع فيحكم العرب، ونسب القول أيضاً لعبد الله بن سبأ والسبئية. ويبدو أن الكوفة كانت موطن هذه الدعاوى؛ لاتصالها بالنصرانية والحيرة ومعرفة كثير ممن دخل الإسلام بفكرة رجعة عيسى أو غيره من الأنبياء عند الأمم السابقة، هذا وقد ورد القول بالرجعة عن بعض الصحابة والتابعين، منهم:

١- أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي:

ذكر المحدثون في مصادر السنة أن أصبغ قد روى عن عمر وعلي والحسن بن علي وعمار بن ياسر وأبي أيوب الأنصاري. أما الذين رووا عنه فسعد بن طريف والأجلح الكندي وثابت البناني ومحمد بن السائب الكلبى ورزين بن حبيب الجهني.

وفي مصادر الشيعة ذكر ممن روى عنه طائفة منهم أبو الجارود زياد ابن المنذر الهمداني ومحمد بن داود الغنوي وإبراهيم بن مهزم ومحمد ابن الوليد ومحمد بن الفرات وأحمد بن أبي عبد الله والحارث بن حصيرة والحارث بن المغيرة، وإن أكثر مصادر السنة لا توثقه، فقد قال عنه أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي (ت ١٩٤ هـ): إنه كان كذاباً. وقال عنه يحيى بن معين: ليس ثقة، وعند النسائي وابن حبان: إنه متروك الحديث. وقال الدارقطني: إنه منكر الحديث. وقال عنه الجوزجاني: إنه زائغ. وقال عنه ابن حبان: إنه فتن بحب الإمام علي حتى أتى بالطامات فاستحق الترك. وقال عنه البزار: إن أكثر أحاديثه في علي عليه السلام لا يروها أحد غيره. وقال عنه ابن سعد: إنه كان على شرطة علي عليه السلام. وانفرد بتوثيقه أحمد بن عبد الله العجلي (ت ٢٦١ هـ)، وذكر الحافظ العجلي (ت ٣٢٢ هـ) أن الأصبغ كان يقول

بالرجعة، وروى عنه بعض الشيعة ذلك. نقل العاملي عن أبي الفتح الكراجكي رواية عن الأصبغ أن معاوية سألته: إنكم تزعمون أن علياً دابة الأرض (إشارة لما ورد في الآية الكريمة) فقال: نحن نقول بما تقول به اليهود عن إيليا. فقال معاوية: ويليك ما أقرب إيليا من علياً. وتذكر مصادر الشيعة أنه من الموثوق بهم ومن أصحاب علي، روى عن الإمام علي عهده لمالك بن الأشتر حينما ولاه مصر. كما روى وصية الإمام علي لابنه محمد ابن الحنفية. وشرطة الخميس بضعة آلاف شارطهم الإمام علي على الجنة، على أن يكونوا في مقدمة جيشه ورجاله، يطلبهم في الملومات ^(١). وسأل الأصبغ:

كيف سميتم شرطة الخميس؟ قال: أنا ضمنا له الذبح.

وتنسب رواية للأصبغ عن الإمام علي قوله: إن رسول الله ﷺ: «علمه ألف باب في الحلال والحرام مما كان ومما كائن إلى يوم القيامة، كل باب يفتح ألفاً حتى علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب، وحتى علمت المنكرات من النساء والمؤمنين من الرجال».

وقد ورد في تفسير فرات الكوفي رواية تفيد اعتقاد أصبغ بالوصية لعلي، وأنه أي الإمام علي أفضل الأوصياء. كما نسب إليه القول بالرجعة على ما تقدم ^(٢).

٢- رشيد الهجري الرياشي بن عدي الطائي (ت ١٢٨هـ).

ذكر أنه من أصحاب الإمام علي. وأنه روى عن أبيه، كما روى عنه سيف بياح السابري. لم يوثقه البخاري ولا النسائي، وقال عنه ابن حبان: إنه

(١) المصدر السابق. ص ٤٠ - ٤٢. د. سعدي الهاشمي: المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق. ص ٤٤ - ٤٦.

كان يؤمن بالرجعة. وقيل: إنه كان يرى بأن علياً هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. ففي رواية عن حبيب بن مهبان قال: «سمعت علياً على المنبر يقول: دابة الأرض تأكل بفيها وتحدث بأستها. فقال رشيد الهجري: أشهد أنك تلك الدابة، فقال له علي عليه السلام قولاً شديداً»^(١). ومن المناكير التي رواها ما نقله ابن حبان والشعبي عنه أنه قال: خرجت حاجاً، فقلت: لأعهدن بأمر المؤمنين، فأتيت بيت علي، فقلت لإنسان: استأذن لي على أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم، والله إنه يتنفس الآن نفس الحي، قال: أما إذا عرفت سر آل محمد فادخل، فدخلت على أمير المؤمنين، وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذباً فلعنك الله»^(٢).

أما مصادر الشيعة فتوثقه وتعدّ روايته السابقة دلالة على علمه بالبلابا والمنايا، كما قال المامقاني^(٣). وتروي أن الإمام علياً أخبره أنه سيموت مقطوع اليدين والرجلين واللسان، فكان ذلك على يد عبيد الله بن زياد والي الكوفة، حسب رواية ابنه قنواء. ولقد تداولت مصادر الشيعة هذه الرواية وغيرها عن رشيد الهجري، واستفاضت في مدحه وتوثيقه، وأنه يصل إلى حد العصمة ومعرفة الغيب^(٤). ومن هنا ندرك كيف دخلت على مصادر الشيعة القديمة تلك الأفكار الغالية، التي دفعت والي الكوفة إلى قتله، وقتل كثير ممن ادعوا أفكار الغالية كما هو معلوم، وأشار إلى أن مصادر السنة المتعلقة بالأنساب أو الرجال تخلو عن ذكر هذه الشخصية، مثل تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير والإصابة لابن حجر وطبقات ابن سعد، وتهذيب الكمال

(١) المصدر السابق. ص ٤٨. عن ميزان الاعتدال. ج ٢. ص ٥٢. ولسان الميزان. ج ٢. ص ٤٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج ١. ص ٤٣١.

(٤) المجلسي. البحار. ج ٢٥. ص ٣٥١.

للمزي، وتهذيب التهذيب لابن حجر وكتب الأنساب عند الكلبي أو ابن حزم في أنساب العرب.

٣- داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأزدي الزعافري الكوفي الأعرج (ت ١٥١هـ).

تذكر كتب الحديث عند السنة أنه روى عن أبيه، وعن كل من الشعبي والحكم بن عيينة وسماك بن حرب والمغيرة بن شبيب وإبراهيم النخعي وغيرهم. أما الذين رووا عنه، فمنهم شعبة وأبو نعيم وخلاد بن يحيى وسفيان بن عيينة ووكيع وغيرهم.

أما أقوال المحدثين فيه فهو عند أحمد وأبي داود وابن معين ضعيف. ولم يوثقه النسائي. وقال عنه العجلي: لا بأس به. يكتب حديثه. قد روى له البخاري حديثاً واحداً في الأدب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان يؤمن بالرجعة^(١).

٤- المغيرة بن سعيد العجلي الكوفي (ت ١٢٠هـ).

تنسب له فرقة المغيرية التي نشأت بالكوفة، حيث قد ذكرت المصادر أنه ادعى النبوة، واشتغل بالشعبذة والتمويه على ضعاف العقول بالكوفة. قال عنه يحيى بن معين: إنه رجل سوء. وقال عنه ابن عبد البر: إنه كان ساحراً مشعبذاً. قتله خالد القسري والي الكوفة وأحرقه، وتشير المصادر إلى أنه لم يكن عربياً، وإنما كان مولى لخالد القسري. وقال عنه ابن حبان: إنه من حمقى الروافض بالكوفة ومن واضعي الحديث. وقالوا عنه: إنه زور على الإمام علي وعلى آل البيت أحاديث منكورة. وتذكر المصادر أنه كان أعمى، وكان على علم بالديانات القديمة، خاصة المانوية والمندائية (الصابئة)، وقد ذكر العقيلي

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

أن المغيرة بن سعيد يؤمن بالرجعة، وينتقص من الشيخين ويلعنهما. ونسبت له بعض الروايات قوله بألوهية الإمام علي وتكفير أكثر الصحابة. وزعم أن الإمام علياً يحيي الموتى. وأنه مسح على عيني أعمى فأبصر^(١). وتناقلت كتب الشيعة هذه الروايات واعتمدت تصديقها، كما هو عند الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد، وقد جمع المجلسي في كتابه البحار جملة من معجزات الأئمة أسند بعضها للإمام علي عن المغيرة بن سعيد وغيره من الرواة؛ ولذا فإنه من الأهمية بمكان لمن يريد معرفة جذور التشيع، وكيف نشأ أن يتناول هؤلاء الرجال، ويستعرض أفكارهم وحياتهم؛ ليدرك كيف دخلت أفكارهم بعدئذ على التشيع وصدقته الشيعة بمرور الزمن، وأصبحت مبادئ ومعتقدات لا يمكن الرجوع عنها أو إنكارها؛ لأنها من ضرورات المذهب^(٢).

٥- جابر بن يزيد الجعفي الكوفي:

روى جابر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وأبي الضحى مسلم بن صبيح وعكرمة وعطاء وطاوس وخيثمة والمغيرة بن شبل والشعبي.

وروى عنه شعبة والثوري وإسرائيل والحسن بن حي وشريك ومسعر ومعمار وأبوعوانة وغيرهم. وأما من روى عنه من الشيعة فقد ذكر بعضهم النجاشي منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف ابن يعقوب.

وصفه سفيان الثوري بالورع. ويظهر أن شعبة كان يتكلم في جابر، فلم يقبل منه الثوري ذلك. وذكر الإمام أحمد أن ما رواه شعبة عن جابر

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣.

يبلغ نحو سبعين حديثاً. وقال عنه يحيى القطان (ت ١٩٨هـ): «تركنا حديث جابر قبل أن يقدم علينا الثوري». كما ذكر أن عبدالرحمن بن مهدي ترك الرواية عن جابر بعد أن كان يروي عنه.

٦- محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن الكلبي (أبو النضر الكوفي) (ت ١٤٦هـ).

وقد روى ابن الكلبي عن أخويه سفيان وسلمة وعامر الشعبي والأصغر ابن نباتة وأبي صالح مولى أم هانئ.

كما روى عنه كل من ابنه هشام وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة وابن المبارك وابن جريج وغيرهم كثير، أما قول أهل الجرح والتعديل فلا يوثقونه عموماً، فقد قال فيه أبو حاتم: إن أهل الحديث مجمعون على ترك حديثه. ولم يوثقه النسائي، وقال عنه الدارقطني وغيره: إنه متروك الحديث. روى ابن أبي حاتم بسنده قول ابن الكلبي: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد ﷺ فنفتوا في في، فحفظت ما كنت نسيت.

وقد عجب بعض أهل الحديث كيف أن سفيان الثوري يروي عن ابن الكلبي وهذه حاله، فقليل: إنما يروي على سبيل إيضاح حالة صحيحة من سقيمها؛ ليحذر منه.

هذا وقد تناولت كتب التفسير بعض الروايات عن الكلبي، ويسند الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس، وتحقيق العلماء في هذه الرواية أنها باطلة؛ لأن أبا صالح لم ير ابن عباس مطلقاً.

ومن المناكير التي رويت عن الكلبي هذا أن جبريل كان يوحى إلى النبي ﷺ، فقام النبي لحاجته وجلس علي فأوحى إلى علي. قال عنه ابن حبان: إنه كان سبئياً. وكان من الذين يقولون: إن علياً لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا^(١).

٧- عثمان بن عمير البجلي الثقفي الكوفي الأعمى (ت ١٥٠ هـ).

وقد روى عثمان هذا عن أنس وزيد بن وهب وأبي الطفيل وعدي بن ثابت وأبي حرب ابن أبي الأسود.

وقد روى عنه حصين بن عبد الرحمن والأعمش وحجاج بن أرطاة وسفيان الثوري ومهدي بن ميمون وشريك.

أما أهل الحديث فلم يوثقه أكثرهم، فقال عنه ابن معين: «ليس بشيء». وعند الدارقطني: أنه متروك الحديث. وعند الحاكم: أنه زائع. وقال ابن عبد البر: «كلهم ضعفه». وذكر البخاري: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن عدي: «ردى المذهب غالٍ في التشيع، يؤمن بالرجعة، على أن الثقات قد رووا عنه مع ضعفه»^(٢).

٨- عمرو بن جابر الحضرمي:

ومن شيوخ عمرو الذين روى عنهم جابر بن عبد الله وسهيل بن سعد وعبد الله بن الحارث وعمر بن علي بن أبي طالب والأعمش.

(١) النجاشي. رجال. ص ١٤٠-١٤٦. د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٥٤.

أما من روى عنه فكثير، منهم ابنه عمران وعكرمة بن عمار وسعيد بن أبي أيوب وأبي لهيعة وبكر بن مضر وهانئ بن المنذر الكلاعي.

نقل عن أحمد بن حنبل أنه قد بلغه أن عمراً كان يكذب. كما قال: إنه قد روى عن جابر مناكير. قال عنه الجوزجاني: إنه غير ثقة وعلى حمق وجهل. قال عنه الأزدي: إنه كان كذاباً. ولكن أبا حاتم ذكر أنه صالح الحديث. ومن المناكير التي رويت عنه أنه كان يقول: إن الإمام علياً عليه السلام يرى في السحاب. هذا وقد صحح الترمذي حديثه. وروى أكثر من واحد أن عمراً هذا كان يقول إذا مرت به سحابة: «هذا علي بن أبي طالب قد مر في السحاب»^(١).

٩- ثابت بن أبي صفية الثمالي الملقب بأبي حمزة (ت ٨٣هـ).

سبق أن ذكرنا أقوال العلماء فيه: أنه من الذين كانوا يشتمون الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في الكوفة. وهو الذي ورد عنه حديث (دعاء صلمي قريش).

قال عنه العقيلي فيما روي: أنه يؤمن بالرجعة^(٢).

وفي تفسير فرات وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة روايات كثيرة عن ثابت الثمالي توضح تأويل الثمالي لكثير من الآيات: أن المقصود منها علي بن أبي طالب منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ أي بولاية علي. ونسب له أيضاً قوله: إن الآية تقرأ: (وإذا قيل لهم ما أنزل إليكم في علي قالوا أساطير الأولين). كما روي عنه. (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني، ولقد ذكرنا علياً في هذا القرآن. كما نقل عنه رواية منكرة يتهم فيها أن علم

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٥٨

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٦٤. وص ١٧٥.

النبوة لم ينقطع وإنما جعله معه في علي وذريته. هذا إضافة لما نقلناه من اعتقاده بالوصية وما نسب إليه من القول في حق بعض الصحابة إنهم أعداء الله. ونسب ذلك للإمام محمد الباقر^(١).

١٠- زياد بن المنذر النهدي الهمداني الملقب بأبي الجارود أو سرحوب (ت ١٥٠هـ):

وقد روى عن عطية العوفي وأبي الجحاف داود بن أبي عوف والأصبخ ابن نباتة وأبي الزبير وأبي جعفر.

أما من روى عنه فمنهم مروان بن معاوية الفزاري ويونس بن بكير وعلي بن هاشم بن البريد ومحمد بن سنان العوفي.

وزياد لم يوثقه أكثر أهل الحديث، فهو عند أحمد ضعيف ومتروك وكذلك عند الدارقطني والنسائي. وقال عنه ابن معين: ليس يساوي فلساً. وعند أبي حاتم: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن حبان: لقد كان يضع الحديث في مثالب الصحابة. وقد روى له الترمذي حديثاً واحداً في صفة يوم القيامة.

وتنسب فرقة الجارودية أو السرحروبية إلى زياد بن المنذر وآرائه، فقد ذكر النوبختي: أن من آرائهم أن الإمام علياً أحق بالولاية، وأن من دفعه وتقدم عليه كافر، وجعلوا الإمامة بعده لابنه الحسن، ثم الحسين، ثم هي شورى في أولادهما. ومن خرج مستحقاً للإمامة فهو الإمام، وعن هذه الآراء تشعب الزيدية. ونسبوا له القول: إن الرسول ﷺ قد نص على إمامة علي بالإشارة دون التسمية أو التعيين، وينسب البغدادي إلى الجارودية اعتقادهم بتناسخ الأرواح، وأن أرواح الأئمة والأنبياء متولدة.

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٨٤.

ويسند أبو الجارود رواياته للإمام أبي جعفر الصادق، وهي منتشرة في كتب الشيعة، ومنها كتاب الأصول للكليني وعموم الكتب الأربعة، وكثير من روايته أن الإمام ينظر من الخلف كما ينظر من الإمام^(١)، وتختلف المصادر في نسبه، فمرة تذكر أنه نهدي، ومرة أنه ثقف، ومرة أنه هندي، وربما يكون السبب في ذلك أنه غير عربي وإنما كان مولى.

١١- محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي (ت ٣٢٦هـ):

وقد روى محمد بن القاسم عن علي بن المنذر الطريقي وأبي كريب، وروى عنه الدارقطني ومحمد بن عبد الله القاضي الجعفي.

قال عنه الحافظ أبو الحسن بن حماد الكوفي: «كان يؤمن بالرجعة...»^(٢).

هذا وقد أنكر كثير من أصحاب الإمام علي^{عليه السلام} فكرة رجعته بعد مماته، منهم عاصم بن ضمرة وهو من أصحاب علي، كما أن أئمة من أهل البيت أنكروا ما كان يروج عن بعض أصحاب الإمام علي من رجعته، منهم ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب^{عليه السلام}، فقد ورد في مسند الإمام أحمد أن عاصم بن ضمرة^{عليه السلام} قال للحسن بن علي: «إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه»^{(٣) (٤)}.

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٨٠ - ١٨٤.

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٢٨.

(٣) مسند أحمد. ج ٢. ص ٣١٢.

(٤) يمكنك الرجوع إلى الاثني عشر رجلاً من رواة الحديث الذين أدخلوا التراث اليهودي للشيعة، خاصة صراحة بن خزيمة ص ٣٢٥-٣٣٩، وكذلك الأحد عشر رجلاً الذين ورد عنهم بعض أفكار الغلاة. ص ٣٤٠ - ٣٤٨.

وأخيراً: نود أن نشير إلى أن هناك الكثير من غلاة الشيعة الذين من المحتمل أنهم كانوا يؤمنون بفكرة الرجعة، ولكن لم تذكر المصادر عنهم ذلك بالتحديد من أمثال أبي منصور العجلي البكري، الذي تنسب إليه فرقة المنصورية، وكان أصحابه كما تذكر المصادر يستحلون قتل مخالفهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم، وقد قتله يوسف بن عمر الثقفي، ثم صلبه.

نماذج ممن ورد عنهم بعض أفكار الغلاة:

١- فرات بن الأحنف بن مشرح بن أبي بحر الهلالي الكوفي.

روى فرات عن أبيه وعن عقبة بن حريث.

وروى عنه مالك بن سعيد بن الخنس وعبد الواحد بن زياد ومروان الفزاري ومحمد بن فضيل وعبد بن سليمان ووكيعة.

وقد وثقه أبو حاتم الرازي ويحيى بن معين. ولكن الذين جرحوه كثيرون، منهم ابن حجر وأبو داود وسفيان والنسائي. وفي رواية لابن حبان بسنده عن ابن نمير: أن فراتاً كان ممن يقول: علي بن أبي طالب في السحاب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان غالباً في تشيعه، لا تحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج بروايته. وقال عنه الذهبي: هو من غلاة الشيعة.

أما مصادر الشيعة فمختلفة في حاله: قال عنه الطوسي: إنه من أصحاب علي بن الحسين. وقال عنه: إنه يرمى بالغلو والتفويض. وذكر الأردبيلي أسماء من روى عنه، منهم عمرو بن مصعب وأحمد بن محمد بن خالد البرقي. وقال: وروايته عنه مرسلّة؛ لأن زمانه بعيد عن زمان فرات. كما ذكر أيضاً من الأسماء عمرو بن عيسى وعثمان بن عيسى ومحمد بن سنان.

وفكرة التفويض من أفكار الغلاة، وقد ظهرت مذاهب من المفوضة الذين يقولون: إن الله سبحانه وتعالى خلق محمداً ﷺ وفوض إليه أمر العالم. ثم ذهب بعضهم إلى نقل فكرة التفويض إلى الإمام علي رضي الله عنه.

وقال عنه أحمد بن الحسين (ت ٤١١هـ) الملقب بابن الفضائري: زعموا أنه غال كذاب، قال عنه العقيلي: «... إنه كان يقول في محمد ﷺ شيئاً من القديم» وهو يرمز لفكرة التفويض. وقال عنه ابن داود: «... يرمى بالغلو والتفويض القول. غال كذاب». وقال عنه المامقاني: «... والرجل لا يمكن إصلاح حاله مع هذه المذام...» ومع كون الرجل هذه حاله في كتب الشيعة، فإن الكليني قد اعتمد رواياته في كثير من أبواب الكافي^(١).

٢- أبو القاسم نصر بن الصباح البلخي (من رجال المئة الثالثة):

لا توثقه كتب رجال الشيعة القديمة. ذكر الطوسي أنه من أهل بلخ الشيخ، وقال: «قيل: كان من الطيارة غالباً». ولفظ الطيارة إما أن المقصود به الارتفاع إشارة إلى الغلو أو أنه إشارة إلى مذهب الطيارة من الشيعة الذين كانوا يعتقدون أن الأئمة (أو الشيعة أصحاب هذا المذهب) لا يموتون، وإنما تطير نفوسهم في الغلس. وفي هذا إشارة إلى أفكار الزرادشتية وتناسخ الأرواح.

وذكر الكشي أنه من الغلاة، وكذلك فعل النجاشي، ولكن كتب المتأخرين على عادتهم يوثقونه، منهم المامقاني ومحمد بن إسماعيل الحائري وغيرهم^(٢).

٣- علي بن حسكة القمي:

قال عنه الكشي: إنه من الغلاة في وقت الإمام علي بن محمد العسكري، ونقل رواية عن الإمام أبي الحسن العسكري يلعن فيها علي بن حسكة وتلميذه

(١) سعدى الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٠١ - ٢٠٦. النجاشي. رجال. ص ٤٢.

(٢) سعدى الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٢٠.

القاسم اليقطيني؛ لأن شيطاناً يتراءى للقاسم، فيوحي إليه زخرف القول غروراً.

كما نقل رواية أن بعض أصحابهم كتب إلى الإمام أبي الحسن العسكري يسأله عن حال علي بن حسكة، الذي يرى: «أنه من أولئك وأنت أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك...» فكتب إليه الإمام بلعن ابن حسكة وتكذيبه.... وقال: «فإن وجدت منهم أحداً فاخذش رأسه بحجر»^(١).

٤- القاسم اليقطيني الشعراني القمي أبو الحسن بن علي بن يقطين بن موسى مولى بني أسد.

ذكر الطوسي أن الرجل يرمى بالغلو. وقال عنه الكشي: إنه كان يدعي أنه باب وأنه نبي.

وذكر ابن الغضائري أن أهل قم يرمونه بالغلو، ولكن فيه الخير، وذكر الخوئي أنه من الضعفاء بشهادة ابن الوليد. خاصة ما ذكر من فساد عقيدته. وقد أورد الكشي روايات تدل على تأويل القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة إلى كون الصلاة والصيام والحج... إنما تدل على رجال ولم يقصد بها حقيقتها. وإن الإمام أبا الحسن العسكري قد أمر باعتزالهم^(٢).

٥- رشيد الهاجري الطائي:

سبق الحديث عنه وأنه من أصحاب الإمام علي، وأنه من الذين كانوا يؤمنون برجة الإمام علي، أو أن الإمام علياً هو المعني بدابة الأرض. وإنه

(١) سعدي الهاشمي، المصدران السابقان.

(٢) المصدران السابقان

كان يدعي معرفة سر آل محمد ﷺ الذي به يكلم الموتى. وأنه ادعى وطلب تكليم الإمام علي في قبره، وادعى أنه يسمعه، وأنه يتنفس في قبره. كما ادعى أن الإمام علياً أخبره بأسرار ستقع وهو في قبره. كما كان يدعي أن الإمام علياً قد علمه علم البلايا والمنايا. وأن الله قد من عليه بالعصمة عن مخالفة الرحمن^(١).

هذا وانظر آراء العلماء السنة والشيعة فيه كما مر سابقاً.

٦- المغيرة بن سعيد (ت ١٢٠هـ).

سبق الحديث عنه وأقوال علماء السنة والشيعة فيه، ويهمننا استعراض أهم الآراء الغالية التي ادعى بها، كما وردت في المصادر الموثوقة:

١- ادعى النبوة بالكوفة، وكان قد شغل أهل الكوفة بادعاء الشعبذة وإشغال النيران، فتبعه خلق كثير من ضعاف العقول، الذين صدقوا سحره ودعواه، فسموا بالمغيرة.

٢- اعتقاده برجعة الإمام علي إلى الدنيا.

٣- لعنه وانتقاصه من أبي بكر وعمر ﷺ.

٤- ينسب للإمام علي الخوارق التي لا تصدق: كال مسح على الأعمى فيبصر، وإحياء الموتى... وقد صدق بعض علماء الشيعة هذه الأقوال، وأوردوها في كتبهم، منهم الشيخ المفيد في كتابه المسائل والإرشاد وغيرها، وابن شهر آشوب في كتاب المناقب والمجلسي في البحار وغيرهم.

(١) رجال. ص ٤٩.

٥- كما ادعى أنه وصي لبعض الأئمة من الشيعة، ثم ادعى أنه هو نفسه إمام، وأكد إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، حسبما أورد ذلك النوبختي في كتابه (فرق الشيعة)^(١).

٦- ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه بالوحي حسبما ذكر النوبختي. كما ادعى أنه يحيي الموتى.

٧- وردت له تأويلات باطنية لأي من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي بعلي بن أبي طالب. والإحسان: فاطمة. وإيتاء ذي القربى: الحسن والحسين.

وقد وجدت هذه الآراء صدى عند بعض مفسري الشيعة، فقد ورد في تفسير فرات بسنده أن الإمام علي قال: «... ولقد اصطفاني ربي بالعلم والظفر، ولقد وفدت على ربي اثنتي عشرة وفادة، فعرفني نفسه، وأعطاني مفاتيح الغيب... أنا قال الله فيه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾».

وذكر النوبختي: أن بياناً هذا قد ادعى أنه نبي، وأنه قد نسخ بعض شريعة محمد عليه السلام. كما ذكر البغدادى أنه ادعى الربوبية، أي إن الله قد حل به، وزعم أنه هو المقصود بالآية: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾. وقال: أنا البيان. كما ادعى بالتناسخ والرجعة. وتجراً فأرسل إلى الإمام محمد الباقر يطلب إليه أن يؤمن به، وقد وصمه الإمام بالكفر واللعن^(٢).

(١) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٨٥

(٢) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٥١. البغدادى. الفرق بين الفرق. ص ٢٣٧.

جابر بن يزيد الجعفي:

لقد تم ذكره وآراء العلماء فيه ومدى توثيقه ورأيه المتعلق بالوصية من النبي ﷺ للإمام علي بالإمامة، وأنه يؤمن بالرجعة، ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من المصادر تنسب إلى جابر بن يزيد الجعفي آراء أخرى، فقد وصفه يحيى بن يعلى بأنه كان يؤمن بالرجعة. ونقل عنه أنه كان يشتم بعض الصحابة. ونادى بانتقال الإمامة من علي إلى أبنائه. كما نسب لجابر أنه ادعى أنه الباب والواسطة بين الشيعة في الكوفة والإمام محمد الباقر ومن بعده جعفر الصادق. وهذه الآراء نقلتها لنا مصادر الشيعة القديمة خاصة، ففي كتاب الغيبة للنعماني أحاديث تنسب لجابر قوله ورأيه بالوصية^(١).

ونقل الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد روايات مسندة إلى جابر بإيمائه بانتقال الإمامة من معصوم إلى إمام معصوم آخر من آل محمد، وأنه يكون هو القائم^(٢). كما أورد الكليني في الكافي روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، ويؤمن جابر بأن العلم انتقل من النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب، ومنه انتقل من الإمام إلى الذي يليه. وقد قال المامقاني عن جابر: إنه كان باباً للإمام محمد الباقر، ومن بعده الإمام جعفر الصادق، وعلى ذلك وثقه برغم ما قيل فيه من قدح. وهذا هو رأي الشيعة النصيرية القائلين: إن جابراً كان باباً للإمام الصادق. والباب هو مدخل العلم والأسرار: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وعلى ذلك لا يحصل العلم دون الدخول إليه من الباب، والإيمان بالمعصومين الاثني عشر.

(١) النعماني. الغيبة. ص ٩٦، ص ٩٢-٩٦.

(٢) المفيد. الإرشاد. ص ٥٢٦.

ونقل عن جابر: أنه كان يدعي أن علي بن أبي طالب هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. وأنه يعلم سر السلام على الإمام المهدي، ولما سأله أحد أصحابه كيف ذلك رد عليه: إن قلت لك كفرت.

كما نقل أن جابراً ادعى أن المغيرة بن سعيد قد أوصى له قبل موته. وادعى أن للأئمة المعصومين صفة إلهية وأنهم يعلمون الغيب، ونسب لجابر مخاريق لا يصدقها عقل، فيها إحياء بأنه يعلم الغيب، ويرمي الخاتم بنهر الفرات، ثم يدعو الخاتم فيجيء، وفيها ما يفهم أنه يعلم لغة الحيوان وما تقوله الشاة لولدها. وعنده قوى كرفع سقف البيت، لأن ينظر الرأي ملكوت السماوات^(١).

وقد انقسم علماء الشيعة في توثيقه أو جرحه. فهو عند البرقي والطوسي وابن الغضائري من الموثوقين، وكذلك عند البربري والحر العاملي والمامقاني والمجلسي من الثقات.

أما من ضعفه ولم يوثقه فهم قلة من القدماء منهم النجاشي، أما من المتأخرين فقد ضعفه ابن داود الحلبي^(٢).

هذا، وتورد مصادر الشيعة القديمة آراء غريبة لجابر متعلقة بالقرآن الكريم، يستفاد منها أن القرآن قد أنقص منه. روى الكليني بسنده عن جابر أنه قال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله» كما أورد الكليني روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، وأن القرآن لم يجمعه أحد كما أنزل، إلا الإمام علي^(٣).

(١) الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ١٩٠ - ١٩٧.

(٢) د. سعدي الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ١٢٥.

(٣) الكليني. الأصول. ج ١. ص ٤١٧.

وقد نقل الشيخ المفيد رواية عن جابر أنه كان يقول بإباحة إغارة فرج الأمة. وقد أيد هذه الرواية الشيخ الطوسي في كتاب الاستبصار مسنداً الإباحة من الإمام الصادق. ونسب لجابر رواية عن الصادق أن الرسول ﷺ قال لعلي فيما قال: «لتبلغن الأسباب، واللّه لتركبن السحاب». ثم ذكرت رواية أخرى: «واللّه لتؤتينا خاتم سليمان وعصا موسى»^(١).

أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني النهدي:

سبق الحديث عنه وأقوال العلماء من الفريقين، وإنه كان من المعتقدين بأن الإمامة لعلي عليه السلام كانت بالنص من الرسول ﷺ عن طريق الإشارة. فهو ممن يؤمن بالوصية ولكن على نحو آخر. وله آراء متناثرة في كتب الشيعة القديمة، نستعرضها كما يأتي؛ لأنها تحمل الجذور الأولى للشيعة في الكوفة، برغم كون الجارودية وقتها من أصحاب الإمام زيد بن علي؛ لأنهم قالوا بالإمامة لعلي ثم الحسن والحسين، وهي بعد ذلك شورية في أبناء علي، فإن قام أحد منهم رافعاً سيفه استحق الإمامة مثل زيد بن علي المصلوب في كناسة الكوفة^(٢).

لكننا نجد لأبي الجارود روايات كثيرة في كتب الحديث عند الشيعة "الاثني عشرية"، نخص منها كتاب التهذيب^(٣) للطوسي والكاية للكليني^(٤)، وكتاب الاستبصار للطوسي^(٥) أيضاً. وكتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)^(٦).

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق. ص ١٣٢.

(٢) النوبختي. فرق. سبق ذكره.

(٣) انظر أبواب: الصيد، الصلاة، الظهار، الذبائح.

(٤) الكليني، الكايف، انظر أبواب المعيشة، فضل العلم، الأطعمة، الدواب، الأشربة، الدعاء.

(٥) انظر أبواب: لحم الحمر الأهلية، الأطعمة والأشربة.

(٦) انظر أبواب: الصلاة، الظهار.

وتنسب بعض المصادر تفسيراً لأبي الجارود، والبعض يذكر أنه رواية أبي الجارود عن الإمام الباقر، وقد وردت في تفسير القمي (علي بن إبراهيم) المشهور والمطبوع روايات كثيرة عن أبي الجارود في تفسير بعض الآيات الكريمة، بعضها مسندة إلى الإمام أبي جعفر الصادق، وأخرى مسندة إلى الرسول ﷺ، وثالثة تعد من آرائه الشخصية كما يبدو.

كما أن لروايات أبي الجارود المتعلقة بالتفسير صدى في تفسير فرات المشهور والمعتمد عند الاثني عشرية. وفي بعض هذه الروايات بسند أبي الجارود إلى الإمام زيد بن علي وأخرى لعبد الله بن الحسن بن علي، وفي البعض يسند الرواية إلى الإمام أبي جعفر. ومن أمثلة الروايات المتعلقة بالإمامة، وهي الموضوع المهم عند رجال القرن الأول رواية أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: إنه حين أنزل الله: «اليوم أكملت لكم دينكم....» قال: فكان الدين بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام).^(١)

أما أقوال علماء الشيعة بأبي الجارود فمختلفة، فقد ماؤهم في الرجال لا يوثقونه، فقد روى الكشي بسنده عن أبي بصير أن الإمام الصادق قال عن أبي الجارود: «أما والله لا يموت إلا تائهاً». وقد ضعفه الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست. وقال عنه الحسن العاملي (ت ١٠١١هـ): مذموم لا شبهة في ذمة. كما ضعفه المامقاني.

وممن وثق أبا الجارود الشيخ المفيد في الرسالة العددية. وعلي بن إبراهيم القمي في تفسيره المعروف وابن الغضائري. والشيخ الخوئي معتمد على جملة أسباب منها الاحتمال الكبير برجوع أبي الجارود عن الزيدية

(١) تفسير فرات، ص ٨٧.

واعتناقه مذهب (الاثني عشرية) بدلالة رواية ابن بابويه القمي مسندة عن أبي الجارود عن جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنه دخل على فاطمة وبين يديها لوح كتب فيه أسماء الأوصياء الاثني عشر^(١).

علي بن أبي حمزة سالم البطائني

وهو من موالي الأنصار كوفي، روى عند الشيعة عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، وهو من رؤوس الواقفة، أي الذين توقفوا عند إمامة الثامن ولم يجروا الإمامة للتاسع ومن بعده، وهم كثرة في العصر العباسي، ولهذا الأمر سببان: سياسي ومالي؛ فالسياسي غرضه التوقف عن القول بوجود إمام موجود للشيعة في ذلك الوقت، تجنباً لبطش السلطان العباسي. والثاني: إن كثيراً من زعماء الواقفة أمثال علي البطائني كان لديهم أموال الإمام، تأتاهم من نواحي وقرى كثيرة: كزكاة أو حق الإمام أو ما سميت فيما بعد بالخمس. فلما توفي الإمام أنكر بعضهم وفاته، وقال: إنه لم يمض بل سيرجع، وآخرون لم يقرروا بإمامة ابنه الإمام التاسع، فلم يدفعوا إليه تلك الأموال، بل أخذوها لأنفسهم؛ ولذا نجد صب اللعنات عليهم في كتب رجال الشيعة.

قال عنه الحسن بن علي بن فضال: إن البطائني كذاب متهم ملعون، رويت عنه أحاديث كثيرة في التفسير. لم يوثقه ابن الغضائري. وروى الكشي في رجاله روايات كثيرة في ذمه. وورد ذمه عند كثير من محققي رجال الشيعة، ومع ذلك فإن أحاديثه منبثة في أمهات كتب الشيعة الإمامية، أمثال الكافي والمبسوط والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه وغيرها^(٢).

(١) د. سعدي الهاشمي. الرواة. ص ١٩٣.

(٢) محمد بن علي الأردبيلي الحائري: جامع الرواة. المجلد الأول. ص ٥٤٧ دار الأضواء. بيروت ١٩٨٣. وقد أوضح محمد ما لله أثر البطائني في التشيع، وأحصى مروياته في أمهات كتب الشيعة. انظر الرافضة وطهارة المولد. ط ١، ١٤١١ م. ص ٣٥ وما بعدها.

وتنقل كتب الشيعة عدم توثيقه من الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، فقد قال له: «يا علي أنت وأصحابك أشباه الحمير»^(١).

محمد بن مسلم بن رباح الثقفي

هو مولى لثقيف، ويلقب بالأعور، كوفي، تذكر مصادر الشيعة أنه صحب الإمامين جعفر الصادق ومحمد الباقر مع أنهما في المدينة وهو في الكوفة. قال عنه النجاشي: إنه من أوثق الناس، له كتاب الإربعمئة مسألة. في أبواب الحلال والحرام. وقال عنه الكشي: إن الإمام جعفر قال له: (تواضع)؛ لأنه كان رجلاً شريفاً موسراً، فلما جاء إلى الكوفة اشترى قوصرة تمر، وأخذ يبيع التمر أمام المسجد بالميزان، حتى اعترض عليه قومه. أما المحدثون المتأخرون فيوثقونه في روايته ويقبلونها، وهو من المكثرين في الرواية.

ومع هذا فقد ورد فيه أقذع الذم. بل أورد الكشي رواية عن جعفر الصادق قوله: «لعن الله محمد بن مسلم، كان يقول: إن الله لا يعلم الشيء حتى يكون»^(٢). وقال الإمام نفسه في حقه: «هلك المتريسون في أديانهم». ومنهم محمد بن مسلم، وعلق الكشي في حق محمد بن مسلم أنه ليس على شيء من دين الإمامية؛ لأنه يقول بالاستطاعة. ولا في شيء من ولايتنا^(٣). وروى الكشي أن ابن أبي ليلى رد شهادة محمد بن مسلم^(٤).

(١) الطوسي: الغيبة. ص ٤٤. الكشي: رجال. ص ٣٤٥.

النجاشي: رجال. ص ١٧٥. قم ١٣٩٧.

(٢) الكشي: رجال. ص ٣٩٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق. ص ٣٨٤.

زرارة بن أعين (ت ١٥٠)

كان عبداً رومياً لرجل عربي من بني شيبان تعلم القرآن، فأعتقه سيده. وكان جد زرارة سنسن راهباً في بلاد الروم، ولزرارة أولاد عدة منهم الحسن والحسين، ومن إخوته رواة الحديث بكير وحمران، ولبيت زرارة أثر كبير في الفكر الشيعي هو وأولاده وإخوانه، كما يقول الطوسي: إن «لهم روايات كثيرة وأصولاً وتصانيف.... ولزرارة تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر والعهود»^(١). وكانوا في الكوفة مركز التشيع.

وقد روى زرارة أحاديث أكثرها عن الإمام الصادق؛ لأنه قد التقى به فتبلغ مروياته من كتب الحديث الأربعة أكثر من ألفين ومئتي حديث، وقد أثنى على زرارة النجاشي، وذكر أنه كان قارئاً للقرآن فقيهاً متكلماً^(٢) من كان هذا فيها شأنه في علم الحديث وروايته فما شأنه والوثوق به عند إمام الشيعة الإمامية أبو عبد الله الصادق؟

زرارة والإمام الصادق؛

التقى زرارة الإمام الصادق، عندما كان زرارة يأتي من الكوفة حاجاً، فيمر على المدينة المنورة، وقد يمكث فيها ما يمكث الحاج ثم يرجع إلى الكوفة. ونستنتج من الروايات أن الإمام الصادق كان يتتبع أخبار زرارة هذا بسؤال من يأتيه من رجال الكوفة، وهذا التتبع مصدره كما يبدو قلق الإمام الصادق من آراء زرارة وعدم التزامه بتوجيهات الإمام، مما قد يجر على الشيعة مشكلات عدة. ويبدو أن الإمام قد ضاق ذرعاً بزرارة، فوصفه

(١) الطوسي. فهرست. ص ١٤١-١٤٢.

(٢) النجاشي. رجال. ص ١٢٥.

بالكذب وأنه وأصحابه أشر من اليهود والنصارى، وأمر الإمام الصادق أصحابه من أن يتجنبوا زرارة، فلما علم بذلك زرارة تمادى أكثر ضد الإمام ولم يبال بالكذب عليه والتقول بما لم يقله الإمام عناداً منه ورداً على الحرب التي استعرت بينه وبين الإمام. ولابتعاده في الكوفة عن الإمام وجد فيها حرية كبيرة لأن يضع الحديث، ويكذب على إمامه.

روى الكشي أن الإمام الصادق سأل أحد أصحابه، وممن هو من أصحاب زرارة قائلاً: متى عهدك بزرارة؟ قال: ما رأيته منذ أيام. قال الصادق: لا تبال. وإن مرض فلا تعده، وإن مات فلا تشهد جنازته. قال: زرارة؟ قال: نعم زرارة. زرارة شر من اليهود والنصارى، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة^(١).

ومع أن زرارة ينقل أكاذيبه وآراءه عن طريق الكذب على الإمام (الصادق)، إلا أن بعضهم يعرف كذبه، فيعرض ذلك على الصادق.

روى الكشي عن زياد بن أبي الحلال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلناه منه وطعناه، وقد أحببت أن أعرضه عليك، فقال: هاته. فقلت: يزعم أنه سألني عن قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. فقلت: من ملك زاداً وراحلة. فقال: كل من ملك زاداً وراحلة فهو مستطيع للحج وإن لم يحج؟ فقلت: نعم. فقال: ليس هكذا سألني ولا هكذا. قلت: كذب عليّ والله. كذب والله، كذب عليّ والله، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، إنما قال لي: من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع للحج؟ قلت: قد وجب عليه. قال:

(١) الكشي. رجال. المطبوع مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ١٦٠.

فمستطيع هو؟ فقلت: لا حتى يؤذن له. قلت: فأخبر زراراً بذلك؟ قال: نعم. قال زياد: فقدمت الكوفة فلقيت زراراً فأخبرته بما قال أبو عبد الله، وسكت عن لعمنه، وقال: أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وصاحبكم هذا ليس له بعد بكلام الرجال^(١).

فهذه الرواية توضح بحق أن الهوة بين هؤلاء الرجال وبين إمامهم كبيرة جداً وترتيب عليها نتائج مهمة وخطيرة في تكوين عقيدة الإمامية وآرائهم بواسطة هؤلاء الرجال، مع العلم أن هؤلاء الأئمة يزودون عن عقيدة الإسلام الصحيحة في الوقت نفسه، فهذا الإمام الصادق كما روى الكشي بسنده عن مسمع بن كروين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لعن الله بريداً، ولعن الله زراراً». والإمام الصادق يتتبع زراراً وأخباره غير مطمئن لسلوكه، لينافح عن هذا الدين.

روى الكشي بسنده عن محمد بن أبي عمر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: كيف تركت زراراً؟ فقلت: تركته لا يصلي العصر حتى تغيب الشمس. فقال: فأنت رسولني إليه، فقل له: فليصل في مواقيت أصحابي فإنني قد حرمت. قال: فأبلغته ذلك، فقال: أنا والله أعلم أنك لم تكذب عليه، ولكن أمرني بشيء، فأكره أن أدعه».

وأثر زراراً يتضح بما له من نفوذ الكلمة بين قومه في الكوفة، حيث يهابه بعضهم إلى درجة أنهم لا يستطيعون الإنكار عليه بدعه وكذبه على الإمام.

روى الكشي عن عبد الرحمن القصير قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أتت زراراً وبريداً، فقل لهما ما هذه البدعة التي ابتدعتموها، أما علمتما أن

(١) الكشي. رجال. ص ١٤٧.

رسول الله ﷺ قال: كل بدعة ضلالة؟ قلت له: إني أخاف منهما فأرسل معي ليثاً المرادي، فأتينا زرارة، فقلنا له ما قال أبو عبد الله عليه السلام، فقال: والله لقد أعطاني الاستطاعة وما شعر. فأما يريد فقال: والله لا أرجع عنها أبداً^(١). وقد خاطب الصادق أبا الصباح قائلاً: «هلك المتريسون في أديانهم منهم زرارة وبريد ومحمد بن مسلم وإسماعيل الجعفي»^(٢).

وزرارة كان على علم بعقائد أهل الكتاب وخاصة النصارى، وذلك أمر طبيعى حيث كان جده راهباً نصرانياً، وقد كانت المذاهب الإسلامية والمتكلمون في ذلك الوقت يتجادلون في مسألة الاستطاعة والجبر، وكان الإمام الصادق على علم بذلك، وعلى علم بآراء زرارة وجماعته في الكوفة بهذه العقائد. روى الكشي بسنده عن حنان بن سديد قال: كنت أنا ومعي رجل أريد أن أسأل أبا عبد الله ﷺ عما قالت اليهود والنصارى والمجوس:

الذين أشركوا هو مما شاء الله أن يقولوا؟ قال فقال لي: إن ذا من مسائل آل أعين ليس من ديني ولا من دين آبائي. قال: قلت ما معي مسألة غير هذه^(٣).

وهدف زرارة وآل أعين إنما يريدون بذلك أن يظهروا على قومهم بالعلم والنفوذ، وإن خالفوا بذلك إمامهم، وقد وجدوا أنفسهم على علم بعقائد السابقين بين قوم جهلة فيها، فأرادوا السؤدد والظهور. وقد حكم عليهم الإمام الصادق بذلك، فقد روى الكشي بسنده عن إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله ﷺ قال: ذكر عنده بنو أعين، فقال: «والله ما يريد بنو أعين إلا أن يكونوا على غلب»^(٤).

(١) الكشي. رجال. ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) القهباي. مجمع الرجال. ج ١ ص ٢٥٥.

(٣) الكشي. رجال. ص ١٥٣.

(٤) الكشي. رجال. ص ١٤٢ - ١٤٥.

ويضيق زرارة ذرعاً برأي الإمام الصادق الذي حاول أن ينبه على خطأ ما يذهب إليه وعلى عناده وعدم استقامته على ما يؤمر به، روى الكشي بسنده عن أبي مسكان قال: سمعت زرارة يقول: رحم الله أبا جعفر، فإن في قلبي عليه لفظة. فقلت له: وما حمل زرارة على هذا؟ قال: حملة على هذا أن أبا عبد الله أخرج مخازيه. وروى أيضاً أن زرارة سأل الإمام الصادق عن التشهد، ولما كانت إجابة الإمام لم تعجب زرارة، قال: فلما خرجت ضرطت في لحيته، وقلت: لا يفلح أبداً^(١).

ويبدو أن الإمام الصادق قد يئس من إمكانية استقامة زرارة أبداً، وأنه سيموت على ضلال، روى الكشي بسنده عن ليث الراوي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يموت زرارة إلا تائهاً».

بعد كل هذا الطعن ضد زرارة يسكت عنه أو يوثقه بعض علماء الرجال من الإمامية، فيقول عنه النجاشي: «... زرارة بن أعين شيخ أصحابنا في زمانه وفق تقدمهم، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً...»^(٢). ويذكره الطوسي دون أي طعن^(٣). كما أن البرقي عدّه من أصحاب الباقر والصادق والكاظم من الأئمة، وذلك دون ذكر ما يشينه. فما هو سبب هذا السكوت والتساهل من الأقدمين في شأن زرارة وآل أعين جميعاً؟ هل هو مجرد إخفاء المعاييب، لئلا يكثر الطعن على المذهب وسد الطريق على مخالفي الشيعة برغم ما يمكن أن يحدثه السكوت، هذا من انحرافات في المذهب. إنها لمسألة خطيرة لم يتصد لها قدماء الشيعة مع الأسف، بل على العكس سايروا التيار لدى

(١) الكشي، رجال. ص ٤٥. وص ١٥٩.

(٢) النجاشي. رجال. ص ١٢٥.

(٣) الطوسي. الفهرست. ص ١٤١.

عامة الشيعة، ولم يغضبوهم في الحق، فكان في ذلك جناية عظيمة على الحديث وروايته وعلى عقائد الشيعة التي تكونت، ووضعت لها أساساً من هذه المرويات.

وكذلك شأن بعض المتأخرين من علماء الإمامية سكتوا مثل غيرهم، أو اعتذر بعضهم لزرارة. قال السيد محمد حسين المظفر: «... فكان الإمام ينال منه أحياناً ليرفع بذلك عنه الخطر، ومن ثم جاءت أحاديث تطعن فيه...»^(١). وقال عبدالحسين شرف الدين: «.. كما أنا لم نجد أثراً ما لشيء مما نسبوه إلى كل من زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم ومؤمن الطاق وأمثالهم، مع أننا قد استفرغنا الوسع والطاقة بالبحث عن ذلك، وما هو إلا البغي والعدوان»^(٢).

ولربما كان السيد عبدالحسين يرى أن روايات الكشي السالفة لم تثبت أو أن الكشي ليس بثقة، ولكن نرى بعض الرجال قد تابعوا الكشي في تلك الروايات أو بعضها مثل المامقاني في تنقيح المقال^(٣). والحر العاملي في وسائل الشيعة^(٤) والسيد الخوئي في معجم رجال الحديث^(٥). وهذا يدل على قناعتهم بعدم توثيق زرارة، لكن هذا الأمر كما سبق أن قلنا أمر نظري؛ لأن ما هو عملي هو سريان روايات زرارة والأخذ منها. وقد تأسس منذ القديم كثير من معتقدات المذهب عليها. وتضاعف عددها بمرور الوقت. قال المرزا محمد حسين النوري في كتاب الفوائد الملحق بمستدرك الوسائل في معرض

(١) محمد الحسين المظفر. الإمام الصادق. ج ٢. ص ١٥٢.

(٢) عبدالحسين شرف الدين. المراجعات. ص ١١٣.

(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج ١ ص ٤٤٠ - ٤٤٤.

(٤) الحر العاملي. وسائل الشيعة. ج ٣. ص ١١٣.

(٥) الخوئي. معجم رجال الحديث. ج ٧. ص ٢٢٢.

الحديث عن محمد بن مسلم: إنه روى أو سأل عن ثلاثين ألف مسألة عن الإمام أبي جعفر، وفي رواية أخرى: أنه سمع منه ستة عشر ألف مسألة. وقال النوري: ولا أظن أن أحاديث زرارة تنقص عن أحاديث محمد ابن مسلم، وهو الذي قال فيه أبو عبد الله الصادق: لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب^(١).

أبو الخطاب:

هو محمد بن أبي زينب مقلاص البراد الأجدع الأسدي، وكنيته المشهورة أبو الخطاب، ويكنى كذلك أبو إسماعيل. له مقالات منكورة في الدين وعقائد فاسدة في صفات الأئمة، وخاصة الإمام الصادق. وكان ذا نفوذ على أصحاب الصادق، حتى إنه يلقاهاهم بعد أن يخرجوا من الإمام الصادق، فيبدل ويغير آراءهم بغير ما ذكر الصادق لهؤلاء فيتابعونه على ذلك^(٢). وكان أبو الخطاب في الكوفة على معرفة برجال الشيعة فيها، وكانوا أول الأمر يوثقونه، فكان يحمل أسئلة من الكوفة إلى الإمام الصادق في المدينة، فيرجع بها إليه، ولكن الشيعة والإمام اكتشفوا خبث سريرته وكذبه فيما ينقل عن الإمام. نقل المجلسي عن (كا) عن علي بن عقبة قال: كان أبو الخطاب قبل أن يفسد هو يحمل المسائل لأصحابنا ويجيء بجواباتها^(٣). ويبدو أن فساد (أبو الخطاب) وقبح آرائه أنه كان يماشي السفلة، ويختلط بهم، ويبدو أنه قد تأثر بهم، وقد نهاه الإمام الصادق عن ذلك، ولكنه أصر على ما هو عليه.

(١) هاشم الحسيني. المبادئ العامة للفقهاء الجعفري. ص ٥٦.

(٢) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ٣٤٤.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ٢٠٨.

روى الكشي بسنده عن الفضل قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «اتق السفلة واحذر السفلة، فإنني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل مني»^(١). ثم بدأ أبو الخطاب ينسب للإمام أقوالاً لم يقلها، ويكذب عليه في مفتريات شنيعة جاراه فيها أصحابه. فقد ادعى أبو الخطاب: أن الصادق جعله قيمًا على أصحابه في الكوفة ورئيسًا لهم، ثم ادعى أن الصادق عينه وصيًا من بعده، وأنه قد علمه اسم الله. وأخيرًا ادعى أبو الخطاب النبوة، وأنه مرسل من الله إلى الشيعة في الكوفة. ثم ادعى أيضًا أنه من الملائكة المقربين، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأنه سيكون حجة عليهم يوم القيامة^(٢).

وقد دمع الإمام أبو عبد الله الصادق أبا الخطاب بالكذب هو ومجموعة من الكذابين على الأئمة عن ابن سنان، قال: قال أبو عبد الله «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب علينا، فيسقط صدقتنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (علي) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبا عبد الله الحارث الشامي وبنان، فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيغًا والسري وأبا الخطاب ومعمراً وبشار الشعيري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي، فقال: لعنهم الله إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حر الحديد»^(٣).

(١) الكشي. رجال. ص ٢٥٠.

(٢) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٦٣.

(٣) الكشي. رجال. ص ٢٥٧-٢٥٨.

فهذه مجموعة من الرواة الكذابين، ومع ذلك تتردد أسماؤهم في كثير من كتب الحديث القديمة والحديثة، ويلتمس لهم المезде كالقول: إن هذا الحديث قد رواه أبو الخطاب في حال استقامته. فأى ميراث هذا الذي تركه أبو الخطاب وأصحابه في الحديث، ومن يملك الشجاعة على تنقية كل ذلك وتبرئة الشيعة والتشيع من هذا الميراث المنكر؟

جابر بن عبد الله الجعفي؛

هو من الكثيرين في الرواية، ويتردد اسمه في كتب الحديث كثيرًا روى سبعين ألف حديث عن الإمام الباقر، وروى مئة وأربعين ألف حديث عن الآخرين وخاصة عن الإمام الصادق^(١). فهل شافه جابر الإمامين المذكورين؟ أورد الكشي في رجاله عن زرارته قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أحاديث جابر، فقال: ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة، وما دخل عليّ قط»^(٢). وقد شهد الشيخ المفيد والنجاشي: أن جابرًا كان مختلط العقل. وقد ضعف روايته كثير من المتأخرين وقد حوا به. وضعف روايته آخرون؛ لأن عمر بن شمر دس على جابر أحاديث كثيرة نسبها إليه وهو لم يقلها^(٣).

أما كتب الحديث عند السنة فقد دمغت جابر هذا بالكذب، فقد ورد عن أبي حنيفة أنه قال: «ما رأيت أحدًا أكذب من جابر الجعفي»^(٤) فأبو حنيفة يعرفه حق المعرفة؛ لأن كليهما كوفيان.

(١) الحر العاملي. الوسائل. ج ٢٠. ص ١٥١.

(٢) الكشي. رجال. ص ١٩١.

(٣) النجاشي. رجال. ص ١٠٠.

(٤) النجاشي. ميزان الاعتدال. ج ١ ص ٣٧٩.

obeikandi.com

الْفَصْلُ الثَّانِي

بعض المدن كمراكز للكذب ونشر التشيع

موقف الأئمة من الرجال الوضاعين

إن أهم مركز من مراكز الكذب في الحديث عند الشيعة ونشر عقائدها عن هذا الطريق كانت الكوفة في العراق. ومنذ اتخذها الإمام علي عليه السلام عاصمة له والتشيع كان ينتشر فيها ويعم منها إلى كثير من الأقاليم خاصة الأقاليم الشرقية. كانت الكوفة في القرن الأول الهجري تضم الكثير من المذاهب، والمذاهب الشيعية على الأخص، وبسبب انتكاس حركات العلويين السياسية بعد مقتل الحسين بن علي والمختار بن عبيد الله الثقفي تحولت حركات الشيعة إلى حركة سرية متطرفة في آرائها؛ ولهذا، فالذي يبدو أن الكوفة في ذلك الوقت كانت تضم من الشيعة غلاتها، فقد كانت لهم الكثرة والنفوذ في الأوساط الشيعية.

وتبالغ المصادر الشيعية في عدد الشيعة يومئذ في الكوفة. نقل المجلسي عن كتاب صفات الشيعة للصدوق بإسناده عن المفضل بن قيس عن أبي عبد الله الصادق قال: قال لي: كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: قلت: خمسون ألفاً، فما زال يقول إلى أن قال: «والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا الحق»^(١). وهذا يدل على كثرة الشيعة في الكوفة حينذاك من فرق شتى، وأن كثرتهم هذه لا فائدة منها، بل هي تمثل متاعب للإمام الصادق الموجود في المدينة المنورة،

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص ٤٣ من القسم الأول.

وذلك بسبب كثرة كذبهم وعدم قولهم الحق مما ينقلون عن الأئمة وعن الصادق نفسه؛ فالمؤمن الحق بينهم أعز من الكبريت الأحمر. نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن قتيبة الأعشى، قال سمعت أبا عبد الله يقول: «المؤمنة أعز من المؤمن، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟»^(١).

ولهذا، فالنماذج من رجال الشيعة الذين كانوا يفدون على الإمام الصادق من الكوفة، وهم يمثلون صفوة القوم، ويسألونه عن أمور دينهم وديناهم لم يكن الإمام على ثقة منهم، وذلك بسبب كذبهم عليه وعلى آبائه واستعمال اسمه لأغراضهم ونحلهم التي ابتدعوها. نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن أبي رثاب قال: سمعت أبا عبد الله يقول لأبي بصير: «أما والله لو أني أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتهم حديثاً»^(٢). فبعد أن آيس منهم الإمام اتخذ منهم موقفاً ألا يحدثهم ولا يبوح لهم بمكنونات نفسه، وأمام هذا الواقع بدأ هؤلاء يتخبطون، ويصنعون مقولات من أنفسهم وينسبونها للإمام. ولعل هذا ينبئ بأن الإمام الصادق له آراء ضد السلطة السياسية في وقته، ولكنه لا يستطيع البوح بها إلى هؤلاء الرجال، خشية نقلها والبوح بها إلى السلطان، فينال الإمام ما نال سلفه من عذاب وهوان. ولعل بعض أصحابه يعرف رأيه السياسي في السلطان والأمراء، فيطلب الإمام منهم ستر ذلك؛ لئلا يلحق الأذى به وبهم، ولكن هؤلاء الرجال استخدموا هذه النصيحة في مسألة السياسة إلى مسائل الدين والعقيدة، فنسبوا له الآراء الغالية في العصمة والرجعة والبداء ومعرفة لغة

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الطير، وما إلى ذلك مما لا تحتمله العقول السوية؛ ولهذا لم يقر الإمام الصادق أنهم أصحابه بل نفى ذلك، هويتحرق أن لأبي حنيفة أصحاباً في الكوفة في الوقت نفسه، وللحسن البصري أيضاً أصحاب في البصرة، ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء.

نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط. من احتمال أمرنا ستره وصيانتة و..... بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون. ثم قال: ما الناصب لنا أشد علينا مؤنة من الناطق علينا بما نكره... أما والله لو كنتم تقولون ما أقول لأقرر أنكم أصحابي و..... هذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش»^(١).

ولكن مما يؤسف له أن علماء الشيعة ذهبوا في فهم هذا التوجه مذهب أولئك الغلاة في تحريف وفهم كلام الإمام هذا، فبدل أن تخصص الأمر بالآراء السياسية التي قصدتها الإمام تعدوها إلى مسائل العقيدة، أي فلا تحدثوهم في مسائلنا وآرائنا السرية في العصمة وعلم الأئمة وأحوالهم وخلقهم وطينتهم إلى آخره من الخوارق، التي كانت تروج لدى غلاة الشيعة في الكوفة وغيرها. وقد عقد المجلسي في البحار باباً في فضل كتمان السر ودم إذاعته، ونقل في ذلك ما يقارب ثلاث مئة حديث منسوبة إلى الأئمة، تدعو الشيعة بستر الأمر عن مخالفيهم، وألا يرووا معجزاتهم ومخاريقهم^(٢).

ومع محاولة الإمام الصادق اعتزال السياسة وعدم الخروج على السلطان، ولكن الشيعة في وقته درجت على تسميته بالإمام ومحاولة زجه

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص ٤٣. والمجلد ١٦. ص ١٣٨ وانظر كذلك المجلد ١١. ص ٢١٧.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص ١٣٨.

ضد الأمويين، أو أن يشترك في الحركات التي ثارت ضدهم كحركات أبي مسلم الخراساني. ذكر الواقدي أنه لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسين بالمدينة على الأمويين هرب جعفر بن محمد إلى ماله بالفرع، فلم يزل هناك مقيم مُتَّقٍ عما كانوا فيه حتى قتل محمد، فلما قتل اطمأن الناس وأمنوا فرجع جعفر إلى المدينة^(١). ويبدو أن أبا مسلم قد كاتب الإمام الصادق في الاشتراك في الثورة، التي قام بها أبو مسلم إلا أنه رفض ذلك بحجة أن ذلك أمر لم يحن وقته. ذكر الكليني في كتابه الروضة المطبوع في آخر الجزء الثاني عشر من أصول الكافي بسنده عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب أخرج عنا. فجعلنا يسار بعضنا بعضاً، فقال: أي شيء تسارون؟ يا فضل، إن الله عز ذكره لا يعجل لعجلة العباد. ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله»^(٢).

ومع معرفة أصحاب الصادق بتوجهه السياسي هذا إلا أنهم طبعاً يتحينون الفرصة للخلاص مما هم فيه، ويصرون على تسميته بإمامهم في حلقات المسجد، وهو ينفي أن يكون إماماً لأمثال هؤلاء. روى الكليني أيضاً بسنده عن شريك المفضل قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «خلق في المسجد يشهروننا ويشهرون أنفسهم، أولئك ليسوا منا ولا نحن منهم. انطلق فأواري واستر، فيهتكون ستري هتك الله ستورهم، يقولون: إمام، أما والله ما أنا بإمام إلا لمن أطاعني، فأما من عصاني فلست له بإمام. لم يتعلقون باسمي؟ ألا يكفوا اسمي من أفواههم، فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار»^(٣).

(١) ابن عبد البر. تجريد التمهيد لما في الموطأ من أسانيد. ص ٢٤. مكتبة القدسي. القاهرة. ١٣٥٠ هـ.

(٢) الكليني. الروضة. في آخر. ج ١٢ من الكافي. الأصول. ص ٣٦٩-١٧٠.

(٣) الكليني. الروضة. في آخر. ج ١٢ من الكافي أصول. ص ٥١٤.

فهؤلاء يشير إليهم بأنهم قد تعلقوا باسمه، أي إنهم سمووا بالجعفرية نسبة لاسمه جعفر بن محمد. روى الكشي بسنده عن أبي الصباح الكفاني قال: قلت لأبي عبد الله: إنا نغير بالكوفة، فيقال لنا: جعفرية. فغضب أبو عبد الله ثم قال: «إن أصحاب جعفر منكم لقليل إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالفه»^(١). وهؤلاء لم يكونوا كذلك في رأي الإمام. نقل المجلسي عن (كا) بسنده قول الصادق لسدير: «... لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء (وكانت سبعة عشر جدياً) ما وسعني القعود»^(٢). وكان سدير قد سأل الصادق أن يخرج على السلطان؛ لأن له شيعة يقاربون الآلاف المؤلفة في رأي سدير. والإمام الصادق كان على علم بما ينسب له من الأحاديث المكذوبة من أصحاب هؤلاء النحل. روى الكشي بسنده أن قوماً جاؤوا إلى أبي عبد الله يطلبون الحديث فسألهم عما يحفظون من الحديث فحدثوه أحاديث منسوبة إلى محمد بن علي، وفي بعضها منسوب لجعفر نفسه فأنكرها عليهم، فقالوا له: إنها شائعة في بلدكم يتداولها الناس منها أحاديث في حلية النبيذ والمسح على الخفين... ومنها أبو بكر أمر خالد بن الوليد بضرب عنق علي بعد الصلاة، ثم أمره بعدم ذلك، ومنها أن علياً كان نادماً على قتال أهل الجمل وصفين. ثم سألهم الصادق: «من أين أنتم؟ قالوا: من البصرة نحن. قال لهم: فهذا الذي تحدثون عنه جعفر بن محمد تعرفونه؟ قالوا: لا، قال: فإذا قال لكم هذا كذب أكنتم تصدقونه؟ قالوا: لا»^(٣). فهذا عناد شديد وإصرار على نقل الكذب، حتى إن أنكره من نسب إليه. وإزاء هذا الوضع السيئ الذي يحيط بالإمام من مخالفيه من أصحابه نراه يشكو العزلة والوحدة في المدينة، ويتمنى أن يسكن هو وأصحابه الطائف بعيداً عما يقلق خاطره. روى

(١) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ٢٥٥.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ٢١٧.

(٣) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ٣٩٣-٣٩٧.

الكليني بسنده عن عنبسة بن مصعب، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «أشكو إلى الله ﷻ وحدتي وتقلقي بين أهل المدينة حتى تقدموا وأراكم، وأنس بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فاتخذ قصرًا في الطائف فسكنته وأسكنتكم معي، وأضمن له ألا يجيء من ناحيتنا مكروه أبدًا»^(١).

ولا شك في أن الإمام قد وصل إلى وضع نفسي يشف عن روح قلقة منعزلة نتيجة هذا الحصار المفروض عليه من السلطان. إن رسالة الصادق إلى سعد الخير توضح ذلك حيث ذكر فيها توجيهاً لسعد هو حقيقة ما بنفس الإمام الصادق من شعور لما حوله قال له: «... لا تقبل ولا توجد إلا في عباد غرباء آخر من الناس قد اتخذوهم سخرًا لما يرمونهم به المنكرات. وقال يقال: لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون أبغض إلى الناس من جيفة الحمار....// واعلم أنه لا تنال محبة الله إلا ببغض كثير من الناس»^(٢). فإذا ن هذه حاله وحال أصحابه بالنسبة للمجتمع آنذاك، فقد كان الناس يتجنبون مخالطتهم خشية أن يوصموا بهذه الصفات المقيتة التي لحقت بهؤلاء الرجال المختلفين فيما بينهم بكذب بعضهم على بعض. ويكذبون على إمامهم لقاء عرض من الدنيا. ولا يستبعد أن السلطة السياسية آنذاك قد دست فيهم عيونها؛ لمراقبتهم وجرحهم إلى الانحراف والكذب.

روى الكليني بسنده عن الفيض بن المختار أنه قال لأبي عبد الله: «ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ (يقصد الاختلاف في الحديث) فقال أبو عبد الله: أجل، هو كما ذكرت يا فيض، إنهم أولعوا بالكذب علينا... وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله،

(١) الكليني. الروضة في آخر. ج ١٢ من الكافي. أصول. ص ٢٧٢.

(٢) الكليني. الروضة ج ١١ من الكافي. أصول. ص ٣٦١ - ٣٦٢.

وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا»^(١). وهذه ربما إشارة إلى أنهم يقبضون الدراهم من السلطان على مسلكتهم هذا. ويبدو أن هؤلاء الرجال كانوا يتكسبون في رواية الحديث على الناس، فيأخذون منهم بعض الدراهم لقاء رواية حديث الإمام جعفر، فيكذبون عليه، أو يتريدون في كلامه، أو يتأولون شيئاً لم يقصده الإمام.

ذكر الكشي أيضاً عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: «قلت لشريك القاضي في الكوفة: إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث، فقال أخبرك القضية: كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون أحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منهم الدراهم، فكانوا يأتون في ذلك بكل منكر، فسمعت العوام بذلك منهم، فمنهم من هلك، ومنهم من انكسر، وهؤلاء مثل المفضل بن عمرو وبيان وعمرو النبطي وغيرهم ذكروا أن جعفرأحدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصوم والصلاة و.... وإن علياً في السحاب يطير مع الريح.... والله ما قال جعفر شيئاً من ذلك قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك، فسمع الناس ذلك فضغفوه...»^(٢).

والزيادة التي يضعها هؤلاء القوم على كلام الإمام جعفر لم تكن زيادة قليلة من أجل التوضيح، بل كانت زيادة منكرة لم يقصدها الإمام البتة. روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «رحم الله عبداً حبيناً إلى الناس، ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا

(١) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ١٣٦.

(٢) الكشي. رجال. مع الطوسي اختيار معرفة الرجال. ص ٣٢٤.

لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلقهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشراً»^(١).

فانظر إلى شهادة الإمام في مبالغات هؤلاء القوم عند رواية حديثه ومقدار الزيادة عليه تَقُولاً لشيء لم يردّه الإمام. ولكن شأن بعض المتأخرين من الشيعة الإمامية إيجاد العذر لهؤلاء الرجال، فيقوم هو الآخر بتأويل مقصد الإمام الواضح سلفاً إلى اعتبار أن كلام الإمام: «فيحط إليها عشراً» هو من باب المبالغة. قال المازندراني شارح كتاب الكليني السالف: «هذا من باب المبالغة المشهورة بين العرب والعجم، وذلك التغيير قد يقع عمداً لغرض من الأغراض، وقد يقع سهواً، وقد يقع باعتبار فهم المخاطب من كلام له وجوه... وينبغي أن يعلم أن كلامهم قسمان: قسم في باب الأسرار، فيجوز نقله لغير أهله أصلاً، وقسم يجوز مطلقاً»^(٢).

وهكذا بدل أن يكون العالم في صف الإمام وقف في صف هؤلاء الكذبة، وحاول إيجاد الأعذار والأسباب، وما ذلك إلا بسبب تقادم الزمن، وأن هؤلاء العلماء قد تشربت عقولهم عقائد هؤلاء الرواة الكذبة في أذهانهم، فلا يستطيعون لها نفيًا.

وهذه دلالة واضحة أن هؤلاء القوم يتعمدون على الإمام الكذب وفساد التأويل؛ لأنهم قد قبضوا أو سيقبضون ثمن ذلك عند من خطط لهذه النتيجة السيئة، التي أورثت بعد تلك الأجيال عقائد ومقولات تقبلها الشيعة بالقبول ونقلوها على أنها آراء الأئمة وما هي كذلك. وقد ابتلي الإمام بهؤلاء القوم

(١) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٢٩٢.

(٢) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. حاشية ٢٩٢.

من الكاذبين، ونسبوا إليه ظلمًا وعدوانًا، برغم أنه ينافح عن نفسه ضدهم. نقل المجلسي عن (كا) بسنده أن أبا الصباح الكناني قال لأبي عبد الله: ما تلقى من الناس فيك؟ فقال: وما تلقى من الناس في؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل كلام، فيقول: جعفري خبيث. فقال: يعيركم الناس بي؟ فقال له أبو الصباح: نعم. قال: فما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم إنما أصحابي من اشتد ورعه^(١). وهؤلاء الرجال أصناف، منهم من يبغى لنفسه الرفعة وعلو الشأن حينما ينادي بتلك الآراء الغريبة والمفترية على الإمام كذبًا، ومنهم الغافل الذي لا يدرك ما حوله، فينقل هذه المفتريات وهو غير عالم بها. وقد وصم الإمام جعفر هؤلاء الكذابين بأشنع الصفات وقرنهم وأعمالهم بالشیطان، بل إنهم قد فاقوا الشياطين بأعمالهم وكذبهم. روى الكليني بسنده عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله: «إن من ينتحل هذا الأمر ليكذب، حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه»^(٢).

ومن هؤلاء الرواة بعض الغفلة الذين يصدقون بكل شيء دونما تمحيص عقلي، فيروون كل ما يسمعون بل إن بعضهم قد شهد على نفسه بذلك عند الإمام جعفر. فقد روى الكشي بسنده عن عبد الله بن يعفور قال: قلت لأبي عبد الله: والله لو فقلت رمانة نصفين، فقلت: هذا حرام، وهذا حلال، لشهدت أن الذي قلت: حلال حلال، وأن الذي قلت: حرام حرام. فقال: رحمك الله رحمك الله^(٣). وماذا يمكن أن يرد الإمام على مثل هذه العقلية، إلا أن يرحمها الله برحمته؛ كي لا تقع في مصارع السوء.

(١) المجلسي. البحار. مجلد ١٥. القسم الثاني. ص ٩٧.

(٢) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٣٣٢.

(٣) الكشي. رجال مع معرفة الرجال للطوسي. ص ٢٤٩.

ويبلغ بالإمام أن يصب لعنته على طلاب الرئاسة والزعامة بين قومهم إن لم يقوّمهم ويصلحهم ذوو العقل. روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال: كتب أبو عبد الله إلى الشيعة: «ليعطفن ذوو السن منكم والنهي عن ذوي الجهل وطلاب الرئاسة أو لتصيينكم لعنتي أجمعين»^(١). والنتيجة لكل ذلك أن الشيعة أصبحت فئة متميزة ومعزولة عن بقية المسلمين بسبب هذه الآراء والمقولات الفاسدة التي يروجها هؤلاء، ومنها أن حب آل البيت وحده ينفع المرء، وإن ساءت سريرته وأفعاله، والإمام ينفي ذلك، ولكن ليس من مجيب. روى الكليني بسنده عن عنبسة عن أبي عبد الله قال سمعته يقول: «خالطوا الناس فإنه إن لم ينفعكم حب علي وفاطمة في السر لم ينفعكم في العلانية»^(٢).

وماذا عسى أن يفعل الإمام جعفر ليداوي هذه الأمراض التي فرقت بين أصحابه وشيعته، فهو يدعو مرة إلى عدم الاختلاف مع الآخرين، حيث هاله كثرة مقولات أصحابه. روى الكليني بسنده عن جابر بن يزيد قال: دخلت على أبي جعفر فقلت: يا ابن رسول الله، قد أرمضني اختلاف الشيعة في مذاهبها، فقال: يا جابر ألا أوقفك على معنى اختلافهم من أين..... ومن أي جهة تفرقوا؟ قلت: بلى. قال: «فلا تختلف إذا اختلفوا»^(٣).

وأحد أصحاب جعفر يطلب منه أن ينظر في أمر الشيعة الذين اختلفوا فيما بينهم وتباغضوا، ويقترح عليه أن يكتب بذلك كتاباً يجمعهم، ولكن الإمام يبدو متردداً في ذلك؛ خشية أن يقع مثل هذا الكتاب بيد السلطان فيأخذه به، وقد اختط لنفسه اعتزال ما من شأنه الخروج عن السلطة.

(١) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ١٧٠.

(٢) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ١٧٢.

(٣) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج ١١. ص ٢٠٢.

روى الكليني بسنده عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله: «إن شيعتك قد تباغضت، وشناً بعضهم بعضاً، فلو نظرت جعلت فداك في أمرهم؟ فقال: لقد هممت أن أكتب كتاباً لا يختلف عليّ منهم اثنان، قال: قلت: ما كنا قط أحوج إلى ذلك منا اليوم، ثم قال: أنى هذا ومروان وابن ذر، قال: فظننت أنه قد منعني ذلك. قال: فقممت من عنده فدخلت على إسماعيل (ابن جعفر) فقلت: يا أبا محمد، إني ذكرت لأبيك اختلاف شيعته وتباغضهم، فقال لك: لقد هممت أن أكتب كتاباً لا يختلف عليه منه اثنان، قال: فقال: ما قال مروان وابن ذر؟ قلت: بلى. قال: يا عبد الأعلى إن لكم علينا لحقاً كحقنا عليكم، والله ما أئتم إلينا بحقوقنا أسرع منا إليكم. ثم قال: سأنظر، ثم قال: يا عبد الأعلى، ما على قوم إذا كان أمرهم أمراً واحداً متوجهين إلى رجل واحد يأخذون عنه إلا يختلفون عليه ويسندون أمرهم إليه»^(١). والمشكلة هذه لا تنتهي بكتاب يكتبه الإمام لهم؛ لأن الذي يؤول كلامه على غير محمله، بل يعاند ويصرح بعدم تصديق كلام إمامه سيكون هذا شأنه مع وجود كتاب، فقد كانت تعاليم الإمام الصادق في عدم الفرقة والتمسك بالصلاح والورع عن المحرمات مكتوبة بين يدي أصحابه. ولكنه داء قد أعيأ الإمام صلاحه. روى الكشي بسنده عن داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إني لأحدث الرجل بالحديث وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله، وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي، فيتأول حديثي على غير تأويله: أني أمرت قوماً أن يتكلموا ونهيت قوماً، فكل تأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله...»^(٢). إن الإمام قد شاهد اختلاف شيعته في مجلسه، وليس فقط بعيداً عنه، بل حتى أولئك الحاضرون في مجلسه لم ينتهوا عن الخصومة في حضرته، وهو ينهاهم عن ذلك. روى الكشي بسنده

(١) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) الكشي. رجال. مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ١٧٠.

عن أبي عبد الله أنه سأل عبد الله بن الوليد عن المفضل، ثم أخبره أن عامر بن جذاعة وحجر بن زائدة عابا المفضل عند أبي عبد الله، فأمرهما بالكف عنه، فلم يفعلا ثم دعا عليهما، فلا غفر الله لهما^(١).

وبعض هؤلاء الرواة يسمع كلام الإمام الصادق، فإذا خرج منه والتقى أبا الخطاب تغير رأيه. روى الكشي أن أبا عبد الله يشكو أن ابن الأشيم يسمع منه هو وصاحبه حفص بن ميمون، ويسألونه، ولكن إذا خرجوا منه ذهبوا إلى أبي الخطاب، فيخبرهم بخلاف رأي أبي عبد الله، فيأخذون قوله ويذرون قول أبي عبد الله^(٢).

وفي سورة غضب الإمام من هؤلاء القوم الذين لم يستطع الأخذ على يدهم، ولم يستطع عقلاؤهم أن يصدوهم ويرجعوهم إلى جادة الصواب، بل إنهم يجالسونهم، يهدد الإمام حتى البريء من الشيعة فيأخذ بهؤلاء؛ وذلك لسكوته عن إنكار تلك المقالات الفاسدة ومجالسة هؤلاء السفهاء. روى الكليني بسنده عن الحارث بن المغيرة قال: قال أبو عبد الله: «لأخذن البريء منكم بذنب السقيم، ولم لا أفعل ويبلغكم عن الرجل ما يشينكم ويشينني، فتجالسونهم وتحدثونهم، فيمر بكم المار، فيقول: هؤلاء شر من هذا، فلو أنكم إذا أبلغكم عنه ما تكرهون زجرتموهم ونهيتموهم كان أبر بي وبكم»^(٣).

ولماذا لا يقبل عقلاء أصحاب جعفر هذا التوجيه من إمامهم الذي هو في منفعتهم ومنفعته، والجواب يبدو أن هؤلاء السفهاء وأصحاب المقالات الفاسدة من الكثرة لدرجة أن عقلاء القوم لا يستطيعون ردهم. روى الكليني

(١) المصدر السابق. ص ٤٠٧.

(٢) المصدر السابق. ص ٣٤٤.

(٣) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ١٦٩.

بسند من الحارث بن المغيرة قال: لقيني أبو عبد الله في طريق المدينة، فقال: «من ذا؟ أحرث؟ قلت: نعم. قال: أما لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم. ثم مضى فأتيته فاستأذنت عليه، فدخلت، فقلت: لقيتني فقلت: لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم، فدخلني من ذلك أمر عظيم. فقال: نعم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه، فتؤنبوه وتعزلوه، وتقولوا له قولاً بليغاً؟ فقلت: جعلت فداك إذا لا يطيعوننا ولا يقبلون منا. فقال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم»^(١). وقد روى الكليني بسند رسالة طويلة وجهها الإمام الصادق لأصحابه يدعوهم فيها إلى الدعة ومجاملة أهل الباطل والصمت والصبر والتسبيح وألا يخرجوا الإمام بأقوالهم وتصرفاتهم. وقد ورد في ألفاظ هذه الرسالة الطويلة ما يأتي:

- «عليكم بالدعة والوقار.. وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم»^(٢).
- «عليكم بالتقية فيما بينكم وبينهم»^(٣).
- «عليكم بالصمت... التسبيح والحمد... فاشغلوا ألسنتكم بذلك»^(٤).
- «تحملوا الضيم من هؤلاء الظلمة... تلتمسون بذلك وجه الله»^(٥).
- «القرآن فيه كل شيء... وقد ضل أصحاب المقايسة....»^(٦).

(١) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ١٧٧.

(٢) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج ١١. ص ١٤١.

(٣) المصدر السابق. ص ١٤٢.

(٤) المصدر السابق. ص ١٤٧.

(٥) المصدر السابق. ص ١٥١.

(٦) المصدر السابق. ص ١٥٦-١٥٧.

- «لا تسبوا أعداء الله، حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدواً بغير علم...»^(١).
- «ألا يكون منكم محرج للإمام، فإن محرج الإمام هو الذي يسعى بأهل الصلاح... فإذا فعل ذلك أخرج الإمام أن يلعن أهل الصلاح من أتباعه»^(٢).
- «اصبروا على البلاء في طاعة الله وولايته وولاية من أمر بولايته... فإن الله أمر بولاية الأئمة الذين سماهم في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾»^(٣).
- وكتب الحديث عند مذاهب السنة توثق الإمام جعفر الصادق، ولكن لا توثق مرويات رجال الشيعة عنه. قال جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين روى عن أبيه وعطاء وعروة وابن المذكور، وروى عنه أبو حنيفة ومالك ويحيى الأنصاري وشعبة والسفيانان وخلق كثير، قال عنه ابن معين: «ثقة مأمون». وقال عنه أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. وقال ابن حبان: من سادات أهل البيت وكبار أتباع التابعين وعلماء أهل المدينة. وأضاف ابن عبد البر في كتابه تجريد التمهيد: إن جعفرًا كان فاضلاً، وتكذب الشيعة عليه كثيراً. ومالك في الموطأ عنه تسعة أحاديث، منها خمسة متصلة مسندة أصلها حديث واحد، وهو حديث جابر الطويل في الحج، والأربعة منقطعة^(٤).

لقد كان كثير من علماء المسلمين ومحدثيهم مطارداً من السلطة السياسية، ولقي العنت والمصاعب، ودفع بعضهم حياتهم، فقتلوا في زمن

(١) المصدر السابق. ص ١٦١.

(٢) المصدر السابق. ص ١٦٧.

(٣) المصدر السابق. ص ١٨٠-١٨١.

(٤) السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن (إسعاف المبتطأ برجال الموطأ). ج ٢. ص مكتبة ومطبعة البابي بمصر. ١٩٥٠م. وانظر أيضاً ابن عبد البر. تجريد التمهيد. ص ٢٤. مكتبة المقدسي. القاهرة ١٣٥٠هـ.

جعفر، ولكن نقلت مروياتهم ووثقت من أصحابهم، ومن رووا عنهم كانوا ثقات، وهكذا فلم يكن العيب في جعفر نفسه، كي تترك كتب الحديث السنية مروياته، ولكن المحدثين هالهم ما روي عنه من تلكم النماذج السيئة من الرواة، فأثروا سلامة الحديث وتدوينه صحيحاً للأجيال والابتعاد عن مرويات هؤلاء، بل إن أغلبهم وصمّتهم كتب الرجال السنية بالكذب فضلاً عما نقلنا من كتب الشيعة الإمامية أنفسهم. ومن مراكز وضع الحديث مدينة قم في إيران وصلتها بالكوفة كبيرة جداً، فقد كانت رباطاً للمجاهدين أول الأمر وأكثر من تقاطر إليها هم من أهل الكوفة من العرب، وقد أضحت قم في أوائل القرن الثالث مؤثلاً للغلاة من الشيعة، فكثرت فيها الوضع في الحديث والكذب على الأئمة لدرجة دفعت الغالبية العرب من أهل قم إلى طرد الغلاة وتشيتيتهم كما ذكرنا سابقاً.

وقد حاول الشيعة إيجاد مركز ديني لمدينة قم، فوضع الوضعاءون أحاديث في فضل قم وسكنائها، منها أن أهل قم لا يحشرون للحساب يوم القيامة كسائر المسلمين، إنما يحشرون في قبورهم، ثم يؤخذون إلى الجنة دون حشر^(١).

إن الرواة يعيشون في ظل حركة سرية يظلمهم الخوف الدائم من انكشاف أمرهم وشيوع معتقداتهم لشدة الإنكار عليهم من المجتمع والسلطان على حد سواء، ولهذا ساد بينهم التقلب في العقيدة، فكثير من الرواة يذكر أنه تنقل من معتقد إلى معتقد آخر سواء من داخل التشيع أو خارجه. وظهر بينهم انتهازيون متقلبون يسировون مع المنتصر في ظاهر الحال، ويبطن خلاف ذلك... وكتب رجال الشيعة مليئة بهذه الحقيقة؛ فكثيراً ما تتحدث عن راوٍ ثم تضعفه؛ لأنه

(١) المجلسي. البحار. ٦٠ - ٢١٨.

انتقل إلى صفوف العامة (السنة)، أو أنه أضحى فطحيّاً أو واقفيّاً. وهذا عامل أساسي من عوامل ضعف الحديث.

إن هؤلاء الرواة قد شاركوا بطريق أو بآخر في الحركات المناهضة للدولة الأموية أو العباسية فيما بعد، أو شارك آباؤهم وأجدادهم في هذه الحركات، التي كانت أكثرها حركات فاشلة، فتوافر الحياد السياسي في القول والسلوك أمر نادر الحصول منهم. إن بعض هؤلاء الرواة قد ادعى النبوة أو ادعى بالوكالة عن الإمام، جمع بعضهم الأموال مدعيّاً أنها للإمام ثم يغلها لنفسه ويرفض تسليمها. والبعض ذكر أنه شارك في ثورات الكوفة ونادى بحلية المحارم وإباحة نكاح الغلمان، والبعض نادى بأفكاره الفارسية كالتناسخ وغيرها مثل ادعاء الربوبية في حق الإمام الصادق. ومن أجل معرفة المدى الذي أحدثه هؤلاء الرواة في إيجاد قواعد وأصول الشيعة لا بد من الربط بين ما ذكره علماء الرجال عنهم من طعن وأسبابه وبين الحركات والثورات السياسية التي شارك فيها هؤلاء الرواة في الكوفة والمدائن ومراكز التشيع، كما استعرضناها في مكانها.

مدى حصول الراوي على حصة من أموال الخمس عن طريق الجهات النافذة له أهمية في اتجاه الرجل وأقواله عن نفسه وعن الآخرين، وقد ذكر أن بعض الرواة احتجزوا لديهم أموال الخمس التي جمعوها ولم يؤدوها للإمام، أو أن البعض أنكروا ما عندهم، أو أن البعض كان وكيلاً عن الإمام فأساء التصرف في هذه الأموال. ولا شك في أن هذا العامل كان له بالغ الأثر في استغلال ضعاف العقول والسذج من الشيعة؛ ودافع أساسي لوضع الأحاديث والروايات المؤيدة لمصالحهم المالية، كما شاهدنا في أفكار البعض لإمامة القادم بعد موت الإمام السابق.

إن إيمان الرواة بأن إمامهم معصوم عن الخطأ والمعصية، وأن علمه علم لدني إلهي يتلقاه من النبي أو بالإلهام أو يسري بالأصلاّب، وما ينقل لهم من معجزات وخوارق لا يحتمل العقل البشري تصديقها، كل ذلك سبب انقسام في عقلية الرواة، فمنهم بعد إدراك الحقيقة اندفع بالاستهتار بالمذهب وعقائده وإمامه، فأظهر المروق واندفع بالكذب على المذهب وعقائده وإمامه، وأخذ ينتحل من عقائد أهل الكتاب وأفكارهم وعقائد قومه وأجداده خاصة إن كان فارسي الأصل؛ لأنها في متناول يده، والقوم حديثو عهد بهذه الأفكار.

ولأن غالبية رواة الشيعة من الموالي وإن تسموا بأسماء عربية، حيث درج المسلمون قديماً حينما يشترتون رقيقاً أو يكسبونه في الحرب، فيدخل في الإسلام يتسمى باسم عربي مسلم، ويتخلى غالباً عن اسمه الأعجمي أو بعضه، وينتسب لنفس قبيلة مولاه، وبجانب ذلك قد أصر أكثر الذين لم يدخلوا الإسلام - وكانوا ممن يدفع الجزية - على الاحتفاظ بأسمائهم الأعجمية حيناً، لكن نلاحظ أولاده ونسله يدخلون الإسلام ويتسمون بأسماء عربية.

ولكون أكثر الرواة الشيعة من الموالي وعلى الأخص من الفرس، وإن العرب بينهم قلة نجد لذلك آثاراً كثيرة على أحاديث الشيعة منها:

أ- يرشح من أفكارهم وعقائدهم كراهية العرب عمومًا، وأصحاب رسول الله ﷺ خاصة، وقد سبق أن عالجنا هاتين الظاهرتين، وأوردنا تفاصيل وأحداثاً كثيرة تتم عن ذلك، وقد شجعهم على ذلك كون أغلب أئمة الشيعة من أمهات فارسيات. وقد أظهر هذا العامل مجموعة أحاديث نسبت للأئمة فيها تحذير من العرب والدعوة لكراهيتهن، كما أوردنا على ذلك من أمثلة صريحة.

ب- دسوا أحاديث كثيرة في مدح مدنهم (الكوفة. قم. طينة كربلاء...) وأصولهم الفارسية المنحدرين منها (سلالة الأبناء والأكاسرة). وهذا رد فعل تجاه أسيادهم العرب أصحاب السيادة والمال. وقد أوردنا على ذلك الأمثلة الكثيرة من الأحاديث المكذوبة.

ج - قام هؤلاء الرواة الموالي بنقل عقائد وأفكار دياناتهم القديمة والخرافات، التي كان يؤمن بها أجدادهم في مواطنهم، وألبسوا هذه الأفكار والخرافات صفة دينية شيعية، وضعوها بلسان الإمام برغم نفي أئمتهم لهذه الأفكار كما سبق أن استعرضنا ذلك. كما قام هؤلاء الرواة أو بعضهم من استعارة بعض الأفكار والعقائد من ديانات أخرى كاليهودية والنصرانية إضافة لأفكارهم الفارسية، سواء الزرادشتية أو المزدكية، وقد عالجنا هذه الأمور في موضعها لأهمية ذلك بالوقائع والأمثلة الدالة.

د- لكون غالبية هؤلاء الرواة من الكوفة نلاحظ أن بينهم وبين الكوفيين الآخرين من مذاهب أخرى تعصباً ورد فعل ضد مخالفهم من أصحاب أبي حنيفة مثلاً وخلافهم معهم حول شرب النبيذ أو السجود على ما لم تنبته الأرض أو المسح أو غسل الرجلين أو الجمع بين الصلاتين، وهم يقومون بذلك غالباً لمجرد التفرد وإظهار المخالفة، وقد أوردنا فكرتهم التي وضعوها على لسان أحد الأئمة أنه إذا أشكل عليهم شيء في الدين، فخالفوا العامة (السنة)، فإن (الحق ما خالفهم). كل ذلك على الرغم من أن مصادر الشيعة خاصة القديمة مثلاً تورد غسل الرجلين في الوضوء من قبل الإمام علي.

هـ- مخالفة بعض هؤلاء الرواة، حتى ما أجمع المسلمون عليه، وذلك لمجرد المصلحة الخاصة، ففي المواريث مثلاً أورد الكليني^(١) عن عبد الله بن محرز قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أوصى إليّ وهلك وترك ابنة، فقال: «أعط الابنة النصف، واترك للموالي النصف». وفي هذا دوافع مادية كما هو واضح برغم مخالفة ذلك لما استقر عليه المسلمون أو حتى مذهب الشيعة الإمامية نفسه.

إن غالبية رواة كتب الحديث الأربعة المعروفة عند الشيعة الإمامية مطعون فيهم عند علماء رجال الشيعة، فمن بين مئة وثلاثين راوياً أوردناهم بوصفهم مثلاً لعينة نجد قرابة نصفهم مطعوناً فيهم من رجال الحديث عند الإمامية أنفسهم، وقد تراوح الطعن بالكذب ووضع الحديث أو كونهم من الغلاة فاسدي المذهب. فإذا أخذنا مثلاً الراوي زرارة بن أعين المطعون فيه عند الجميع الذي وصفه الإمام الصادق بالكذب ثم باللعن نجد له ٢٠٩٤ حديثاً مروياً في كتب الحديث الأربعة المعروفة، وهذا بعض السر في الداء الذي أصاب رواية الحديث عند الشيعة الإمامية. فكيف بحال الآخرين. ومثله جابر بن يزيد الجعفي الذي ذكر أن له سبعين ألف حديث، وفي رواية أن له خمسين ألف حديث لم يحدث بها مع ورود رواية عن الإمام الصادق في حق جابر أنه لم يرَه عند والده الإمام الباقر إلا مرة واحدة، ولم يدخل على الإمام الصادق قط. فيبدو أن هناك تساهلاً عند الرواة أمثال جابر (وهو مختلف في توثيقه عند الشيعة الإمامية) من إمكان اعتبار رواية الحديث لا عن لقاء ومشافهة، وإنما مجرد السماع من الآخرين أو القراءة

(١) الكافي، ج ٧ ص ٨٧ من الفروع.

في كتب اشتراها من السوق على حد تعبير أحد الرواة. إن هذا الوضع تسبب للمتأخرين من المحققين في وضع غاية في الصعوبة والحيرة.

من بين المئة والثلاثين راوياً الذين أوردناهم كعينة توثق كتب الرجال عند الشيعة الإمامية ثلاثة وثلاثين راوياً منهم، وهي نسبة قليلة تجعل أثرهم ضئيلاً في صحة الحديث المروي، خاصة إذا ما علمنا أن كل حديث يعتمد على سلسلة من الرواة قد تبلغ الأربعة أو الخمسة، فقلما يجتمع في هذه السلسلة الموثوقون جميعاً، فإذا وجد موثق واحد وبقية الآخرين مطعون فيهم سقط الحديث طبعاً. والملاحظ من مصادر الرجال المذكورة أن هؤلاء الرواة الموثوق فيهم أكثرهم ليسوا شيعة (اثني عشرية) إمامية، (أي لا يؤمنون باثني عشر إماماً)، وإنما أكثرهم من الواقفة الذين توقفوا عند إمامة موسى الكاظم، وقالوا: إنه لم يمت بل هو المهدي ولم يقرأ بإمام بعده (علي بن موسى) أو إنهم من الفطحية الذين قالوا بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد الأفتح، فلم يسوقوا الإمامة إلى ابنه موسى الكاظم، كما فعل (الاثني عشرية). أو إن البعض من فرقة الشيعة الزيدية. وهذه ملاحظة مهمة جداً يجب التوقف عندها ودراستها؛ للوصول إلى أسباب ذلك.

لماذا تشهد كتب الرجال بأن أكثر الموثوق فيهم هم من الواقفة أو الفطحية أو الزيدية. ولماذا يكون أكثر المطعون فيهم هم من الإمامية (الاثني عشرية)؟ على الرغم من أن الإمام أبا الحسن الرضا قد وصم الواقفة بأنهم كفار ظالمون أو مشركون يعيشون حيارى، ويموتون زنادقة، ولا تجوز الزكاة لهم. وقد أشار الطوسي في كتابه (الغيبة)، وتساءل كيف يمكن الوثوق بمرويات الواقفة والطعن عليهم كثير من أصحابنا^(١).

(١) الطوسي. الغيبة. ص ٤٢.

من بين المئة والثلاثين راوياً الذين أوردناهم سالفاً أربعة وثلاثون راوياً مختلف في توثيقه عند مصادر رجال الحديث الشيعة، كما هو موضح في الجدول المرفق، والأصل في رواية الحديث احتياطاً ألا يدس على الإمام أو النبي ﷺ ما لم يقله. وكذا فإنه يجب أن يسقط روايات هؤلاء، ويلحقوا بالمطعون فيهم تحوطاً، وبهذا ترتفع نسبة المطعون فيهم إلى أن يصلوا إلى ما يقرب الثلثين، مما يجعل من الصعب جدا على العلماء والمدققين قبول كتب الحديث، يمثل ثلثا رواياتها مطعون فيهم في المذهب نفسه. وهناك ملاحظة مهمة في هذا الباب هنا، حيث نجد في هذه الفئة غالباً ما يأتي الطعن في الراوي من المصادر القديمة كالكشي أو النجاشي^(١).

ثم يأتي توثيقه أو تعديله من المتأخرين من رجال الحديث كالحري العاملي أو المحقق الحلي لأسباب واهية وبعضها عجيب، كأن يقال: إن الطعن ورد على دين الرجل ولم يقع على روايته. كما هي عبارة ابن الغضائري عن أبي بصير ليث المرادي، ويبدو أن هذه القاعدة هي السائدة في هذا القسم من الرواة الذين ذكرنا منهم هشام بن الحكم والمختار بن عبيد الله الثقفي وغيرهم ممن عرفوا بفساد عقيدتهم ودينهم، فما الداعي إلى توثيقهم؟ الجواب الذي نستقرئه هنا: أن العلماء المتأخرين وجدوا أن غالبية رواة الحديث في كتب الشيعة مطعون فيهم في مصادر الشيعة نفسها، فإن هم أخذوا بهذه الطعون على سبيل الدقة كما هو الحال عند السنة، فإن أحاديث كتب الشيعة الأربعة أو غيرها تسقط في الاختبار، فاضطروا إلى التساهل في حال الراوي، وأخذوا يجدون له الأعذار بأن ما ورد عليه من طعن مثلاً، إنما كان سابقاً لروايته تلك، فقد تاب الرجل مما وصم به، ورجع عن ذلك،

(١) الطوسي. الغيبة. ص ٤٢.

وهكذا نجد مثل هذه الأعذار حتى تقبل روايته أو تعدل، وهذا منهج خاطئ، وكان الأولى عقلاً وديانة لحفظ دين الله. إسقاط هؤلاء الرواة وما رووه من أحاديث أصبحت عبئاً على الشيعة والتشيع، والتبرء منهم ومن مقولاتهم هو الأولى.

إن الانحراف الذي أصاب التشيع منذ البذرة الأولى حصل على يد رواة كذبة مطعون فيهم من الأئمة أولاً ومن بقية المسلمين، ولكن الحركات السرية غالباً لا تستطيع البراءة أو التخلص من المنحرفين للطبيعة السرية في قيادة المجموعة التي لا تستطيع نشر تعاليمها بكل حرية ووضوح للجميع، فيختلط الغث بالسمين، ويورث هؤلاء الحيرة لعلمائهم المتأخرين. ومن ذلك مثلاً إصرار الراوي على أفكاره المخالفة للإمام مجرد أنه لا يريد الرجوع عنها؛ حمية لنفسه وللشيعة معاً في الكوفة، فهذا محمد بن علي بن النعمان الأحول يعترف بأنه لكثرة احتجاجه وخصومته للآخرين من مخالفيه لا يستطيع التراجع عن رأيه وإن خالف إمامه، وذلك لمجرد الحمية^(١). وهذا باب من أبواب الكذب في الحديث دخل على رواة الشيعة.

بعد وفاة كل إمام من الأئمة الاثني عشر يختلف الشيعة في الإمام الواجب اتباعه، فتنشأ من هذا الخلاف فرق أخرى، وهذا قد أثر كثيراً على حال الرواة لحديث الشيعة؛ مما أورث عدم الثقة في سلسلة الرواة التي تتعرض للانقسام كلما توفى إمام وظهر الاختلاف فيمن يستحق الإمامة بعده.

(١) الكشي. رجال. ص ١٩٠.

للطبيعة السرية لفرقة الشيعة ومخالفاتها للدولة، فقد درج أئمة الشيعة على تنبيه رجالهم بأنهم تحت رقابة السلطة السياسية، وأن أقوال الأئمة محسوبة عليهم من السلطات، ويطلب الأئمة عدم إحراجهم وتوجيه أسئلة مباشرة في حضرة آخرين خاصة فيما يتعلق بالإمامة أو جمع الأموال المتعلقة بالزكاة أو.... وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل، عندما تكلمنا عن أصحاب الإمام الصادق وموقفه منهم. لقد استغل بعض ضعاف النفوس من هؤلاء الرواة توجيه الأئمة هذا أوسع نطاق، فأحياناً يدعون أن كلامه ورد على سبيل التقية، وأخرى يدعون أن كلامه ورد بخلاف ما سبق أن أجاب في سنة سالفة، ففتح الباب أمام الكذابين لاستغلال هذه الثغرة لتوثيق ما يريدون من أقوال ونفي ما لا يشتهون مما أظهر أفكاراً لا عهد للأئمة بها، وبرغم نفيهم تلك الأفكار فقد كان صوت هؤلاء الرواة، وخاصة بالكوفة أعلى وأقوى من توجيهات الأئمة الذين لا سلطة لهم على هؤلاء ولا على غيرهم، خاصة لبعدهم في المدينة. وقد ذكرنا كيف أن هشام بن الحكم يطلب منه الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عدم الكلام، فلم يمتنع، وقد تسبب ذلك في قتل الإمام، كما فصلنا ذلك في موضعه.

ومما يلاحظ على بعض الرواة المصنفين الذين وثقهم علماء الرجال، بل ربما أجمعوا على توثيقهم كما ذكرنا ذلك مثلاً في حق محمد بن يعقوب الكليني وعلي بن إبراهيم القمي مع أن هؤلاء قد أوردوا في كتبهم روايات في تحريف القرآن الكريم، حيث إنهم لم ينكروها أو ربما قبلوا بعضها مما دفع بعض العلماء إلى الاعتقاد بأنهم يجيزون ويرون صحة الروايات في تحريف القرآن. ومع أن هذا أمر عظيم في دين الإسلام لا يقول به مسلم صحيح

العقيدة مع كل ذلك اعتبروا من الرواة الموثوقين عند الشيعة أجمعين، إلا ما شذ من العلماء ربما. وقد سبق أن أوردنا نصوص الآيات المحرفة والواردة عند الاثنين معاً. وهذا من جملة التساهل الموجود في حق الرواية والراوي عند الشيعة الإمامية.

ومشكلة أخرى لا تتعلق فقط بعقيدة الراوي، وإنما تتعلق بعمله وسلوكه الشخصي، فمن الأمور المعروفة في توثيق الراوي ألا يخالف عمله ما يرويه، وقد شهد الإمام أبو الحسن عليه السلام على مخالفة شيعته العملية لما يروى عن الأئمة، فقد ذكر: «لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة (ربما واقفة)، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم لم يبق منهم إلا ما كان لي أنهم طالما اتكؤوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي. إنما شيعة علي من صدق قوله فعله»^(١). فإذا كان الإمام نفسه قد شهد بأن أفعال أكثر أصحابه هؤلاء تخالف أقوالهم، فأى ثقة بقيت في الراوي. ولكن بعضاً من المتأخرين من الشيعة المحدثين يفصلون بين عمل الراوي (فساده) ومنطوق روايته.

إن هذا العدد الكثير من الرواة الكذابين والمطعون فيهم من كتب الرجال القديمة، خاصة ما ورد ضدهم من لعن الأئمة إياهم والأقوال المنكرة في رواياتهم المخالفة لعقيدة الأئمة والمسلمين عموماً، وكذلك تلك الروايات المشحونة بالخرافات، التي لا يمكن أن يصنعها من كان له ذرة من عقل. أقول: هذا الوضع ليس طبيعياً ولم يحصل عفواً، ومن المحتمل أن أعداء الشيعة السياسيين قد دسوا هؤلاء الكذابين؛ ليروا تلك الخزعبلات التي ملئت

(١) الكليني. الكافي. الروضة. ص ٢٢٨.

بها كتب الحديث وتلك الأفكار والعقائد المخالفة لعقيدة آل البيت، كما هي معروفة ومحقة عند المسلمين الآن، وهذا الكذب الهائل لا يمكن أن يحصل اعتباطاً. وقياساً على ما يحصل من اختراقات للجماعات السرية في العصر الحديث وقيام متعاونين لجمع معلومات عن هذه الجماعات، وتكوين فكر مضاد لها من داخل فكر هذه الجماعات بحيث يؤدي الحال إلى تمزيقها من الداخل أمر ليس ببعيد حدوثه. فمثلاً كتاب سليم بن قيس الذي يشار إليه أنه من أول الكتب التي ظهرت في فكر الشيعة، وأنه من كتب الأصول تعرض لنسبة كبيرة من الانتحال، فقد قيل: إن ما ورد فيه جملة هو من الموضوعات وهو نفسه منهم من الكذابين، ومما يدل على وضعه أنه قد ورد فيه أن الأئمة ثلاثة عشر إماماً لا اثني عشر، وأن محمد بن أبي بكر قد وعظ أباه عند الموت، مع أنه كان يقترب من السنتين من عمره، وإن علماء الشيعة لديهم نسخ مختلفة في كمية ما ورد في هذا الكتاب^(١). وقد ورد صراحة أن أبان بن أبي عياش، وهو الراوي الوحيد لهذا الكتاب هو الذي وضع هذا الكتاب. والسؤال: ما الدافع إلى أبان أن يكذب فيضع هذه المعلومات وما غايته من ذلك؟ إنني أدعو الباحثين إلى تقصي هذا الأمر لأهميته البالغة، وأنه سيكشف في المستقبل الكثير من الغموض المحير في أفكار وعقائد الشيعة.

لماذا يصير هشام بن الحكم على ترويج أفكار الغلاة في الكوفة والعراق، وينسب للإمام أبي الحسن أقوالاً لم يقلها مما يسبب بذلك اضطهاد الإمام وحبسه من قبل الحاكم وقتله بعد ذلك.

من هو يحيى بن خالدة الذي كان ينقطع إليه هشام بن الحكم؟

(١) أورد ذلك العلوي الحسيني في مقدمة الكتاب.

ومن هو أبو شاكر الديصاني الذي تصفه المصادر بأنه زنديق تتلمذ على

يده هشام بن الحكم؟

إن الدفاع عن الكذابين، ومن لعنوا على لسان الأئمة ومحاولة تعديل رواياتهم وإيجاد السبل والأسباب لمحاولة توثيقهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً هو غفلة من المحققين وخطأ كبير في حق المذهب ورجاله؛ فإسقاط رواياتهم وأحاديثهم أصلح للمذهب وأهله.

وفي الكلام عن أخبار الآحاد ومدى صحتها والعمل بها ذهب أكثر المحققين إلى صحتها والقول: إن الطائفة درجت على قبولها، وقد ذهب صاحب كتاب العمدة (الطوسي) إلى ما نقله السيد أبو القاسم الخوئي: «... عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب محمد ابن أبي زينب في حال استقامته، وتركوا ما رواه في حال تخليطه»^(١). وقد أفردنا الحديث عن أبي الخطاب ومن كان هذا شأنه من الصعوبة قبول روايته ومن غير الصحيح معرفة أوقات تخليطه واستقامته.

من الذي دفع إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق لأن يتخلق حوله رجال، ثم ينشقون، ويكونون جماعة دينية منفردة بآرائها الغريبة عن الأمة هل تجري مصادفة. روى الكشي بسنده عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: «يا كافر، يا مشرك، ما لك ولا بني يعني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطائية»^(٢).

(١) الخوئي. معجم الرجال. ج ١. ص ٢٥٩.

(٢) الكشي. رجال. ص ٢٧٢.

ما المصلحة من دفع ابن الإمام إسماعيل من اعتناق مذهب الخطائية الشاذ، الذي سبق أن أوضحناه، وإدخال ذلك على الشيعة وعلى إمامهم في خاصة أهله وأبنائه؟ وقد ذكر للمفضل مصنفات سربت للمذهب منذ القديم كذبه وأهدافه من خلالها، ومنها ما وصل إلى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة^(١).

إن أمثال كثير النوا وسالم بن أبي حفصة وأبي الجارود الذين وصمهم الإمام الصادق ليس فقط بالكذابين وإنما بالمكذبين، فلما سأله أبو أسامة عما يقصد بالمكذبين، قال الإمام: كذابون يأتوننا، فيخبرونا أنهم يصدقونا، وليس كذلك، ويسمعون حديثنا ويكذبون به^(٢)؛ فالمسألة مقصودة ومدبرة سلفاً كما يبدو. ونقل ابن النديم في الفهرست عن محمد بن سنان قوله في حق أبي الجارود: «لم يمت حتى شرب المسكر وتولى الكافرين»^(٣). فماذا تعني ولاية الكافرين هنا أليس منها وضع الأحاديث والكذب على الإمام الصادق؛ بغية إضلال الشيعة في الكوفة وغيرها ووقوعهم في حيرة من أمرهم لهدف سياسي كبير.

إن والي الكوفة لما أراد معرفة مكان اختباء عقيل بن أبي طالب الذي قدم لأخذ البيعة للحسين بن علي من أهل الكوفة دس العيون التي توصلت بالمال والخديعة إلى الهدف المطلوب، وقتل عقيل رحمه الله على إثرها، ونقل لنا التاريخ تفاصيل كيف تم ذلك، ومن الرجال الذين قاموا بذلك، ولكن الكذب

(١) الطوسي. الغيبة. ص ٢١٠.

(٢) الكشي. رجال. ص ٢٠٠.

(٣) ابن النديم. الفهرست. ص ٢٥٣.

في الحديث برغم خطورته الفكرية على مستقبل الحركات السياسية لا يبين بوضوح من الشواهد والوقائع الدينية، كما هو الحال في الوقائع السياسية.

لقد أرشد الإمام الباقر قديماً، فقال في حق هؤلاء الكذبة وفضح مقصدهم «.. لقد رووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله؛ ليبغضونا إلى الناس»^(١). وقد تنبه إلى ذلك كثير من المحققين، وأشار بالطعن على هؤلاء، ولكن ذلك لا يكفي، لقد بقيت تعاليم أولئك الكذابين في بطون الكتب، وتأصلت على أساسها أصول، فهل هناك قدرة على رفعها من جذورها؟

ومن التساهل الواضح في قول الراوي ومحاولة توثيقه خاصة من قبل علماء الرجال المتأخرين، فبعض علماء الرجال القدماء مثلاً يدفع الراوي، فلا يوثقه بسبب ما عنده من غلو في المذهب، فيأتي المتأخرون فيلطفون لفضلة الغلو الشيعية عند جميع العلماء والمسلمين إلى القول: إن في مذهبه (ارتفاعاً)، وهي لفظة ملطفة مفادها أن في مذهبه غلو مقبولاً، وهذا يدل عند هؤلاء أن كثيراً ممن اشتهروا بالغلو قد يكونون رواة مقبولين. ومن أمثلة ذلك محمد بن بحر الرهيني، فقد وصفه الشيخ الطوسي^(٢) بأنه متهم بالغلو، في حين قال عنه النجاشي: إن في حديثه قرباً من السلامة على الرغم من أن بعض الأصحاب ذكر أن في مذهبه ارتفاعاً^(٣).

ومثل ذلك أيضاً ما ورد في حق عبد الله بن خدّاش المهري الذي قال عنه النجاشي: «ضعيف جداً وفي مذهبه ارتفاع» ولفظة جداً هي إشارة إلى أنه من

(١) الكشي. رجال. ص.

(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٣١٨.

(٣) النجاشي. رجال. ص ٢٧١.

أصحاب الغلو والارتفاع. ولكن الحر العاملي يفهم من ذلك قائلاً: «إن فساد مذهبه لا ينافي التوثيق»^(١). وهكذا تتسرب أفكار الغلاة والكذابين عن طريق هذا التساهل في توثيقهم وقبول روايتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ لأنها هي الخرق الذي دخلت منه البلايا والمصائب على الشيعة.

محمد بن علي بن هلال عده الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) من المذمومين، ويستقرئ الحر العاملي أن يكون وجه الذم اقتران اسمه باسم زرارة الملعون من الإمام الصادق لكذبه، ومع هذا يقول الحر العاملي عن ابن هلال هذا: «ما نقل عنه من سبب الذم لا ينافي كونه ثقة في الحديث»^(٢).

اليوم، وقد تهيأت سبل التحقيق وحرية الكتابة والتأليف، وأصبح ما كان سرّاً يخشى انتشاره لدى الخصوم أضحى في متناول جميع طلاب العلم والحقيقة، فلماذا لا يشمر طلاب العلم الشيعة خاصة لدراسة هذا الأمر وإيضاحه للناس. إن إعلان الحقيقة ونشر العلم بما فيها أخطاء الماضين، وما جروه من ويلات، وما ارتكبه من آثام وكذب في حق إخوانهم في المذهب لهو أجدى اليوم للشيعة والمسلمين عموماً من الإصرار على أخطاء الماضي وتبريرها بشتى الأسباب الواهية.

أليست وحدة المسلمين واتفاقهم على أصول عقائد الإسلام التي تحميمهم من التمزق والتشرذم المذهبي أمام أعدائهم وخصومهم الكفرة أهم من تأصيل أفكار الغلاة وممزقي الأمة والطاعنين رجالها وخلفائها وأئمتها وصحابتها.

(١) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٢٣٦.

(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٣٣٥.

ماذا يضر مذهب الشيعة إذا أعلن علماءهم بعد تحقيق ودراسة محايدة إبطال فكرة الغيبة وغيرها إذا تحققوا من أن روايتها ومخترعها منذ ذلك الوقت، كما أوضحنا كانوا إما أصحاب أغراض شخصية أو من الغلاة الهادفين إلى فرقة الأمة أو على أقل تقدير من حسني النيات الذين اجتهدوا للمذهب وأهله لما ينقذهم في تلك الظروف من محن وعنت أصبحت الآن لا مبرر لها.

من المؤسف أن تتحول شهادات قدماء الشيعة في حق بعض الرواة غير الموثقين لأسباب ذكروها بصراحة مثل ذكر النجاشي عدم توثيق رواية جعفر الجعفي لاختلاطه عقلياً، من المؤسف أن تتحول هذه الشهادة مثلاً عند المامقاني أي اعتبار الاختلاط المذكور لا أصل له؛ لأنه ناشئ عن رواية الجعفي لأمر في الأئمة غير مقبولة عند القدماء، ثم صارت اليوم من ضرورات مذهب الشيعة، وكانت تعد غلواً. وهذه حجة المامقاني في عدم قبول الآخرين ما ورد من اختلاط عقل الجعفي^(١).

إن القاعدة التي استخلصها من محققي الرجال المتأخرين تعتمد أكثر على مدى تطابق ما يروى مع قواعد المذهب التي استقرت فيما بعد عندهم، فإذا كان الحديث منطوقاً يتفق مثلاً مع فكرة البداء أو الغيبة أو التقية أو... فالحديث صحيح والراوي ثقة برغم ما قد يرد من قدح في شخصه. وهذه القاعدة إذا كانت بسيطة وسهلة على المحقق في العصور المتأخرة التي استقرت فيها أصول مذهب الشيعة، وأصبح من العسير تغيير ما توارد عن القدماء، ولكن هذه القاعدة غير صالحة، ولا يمكن تطبيقها على قدماء الرواة وأحاديثهم؛ لأنهم هم الذين اخترعوا هذه الأفكار والعقائد، فأصبحت

(١) المامقاني: تنقيح المقال. ج ١. (جابر الجعفي).

بمرور الزمن وتعاقب إخفاء العقيدة وسترها أضحت قواعد وأصولاً لمن جاء بعدهم، على الرغم من أن مخترعيها ربما غلاة كذابون أصحاب أغراض كما ذكرنا.

لقد تقنن أصحاب الأغراض هؤلاء بهدف وضع الشيعة في ظلام دامس يصعب على عامتهم، فضلاً عن عقلائهم معرفة الحقيقة والوصول إليها بوضوح دون عناء وتكتم وسرية، فأشاعوا مقولة الإمام الصادق: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول له فقط أن احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله.....». أولوا هذه النصيحة وجوب كتمان الأفكار الغالية والمنكرة التي أشاعوها في حين كان الإمام الصادق يعني بذلك ليست تلك الأفكار التي اخترعها هؤلاء الكذابون، فأضحت أصولاً من أصول الشيعة، وإنما المقصود به أمر الشيعة السياسي في التهيؤ للانقضاء على الحكم من يد الأمويين وتخليص الشيعة مما هم فيه من شدة وعناء، هذا إن تحقق أن الإمام قد قال ذلك حقاً.

ليس في أصول الإسلام وقواعده وتعاليمه ما يقتضي ستره وإخفاءه عن كائن من كان، بل بالعكس بعث نبي الإسلام بالمحجة البيضاء ليلاها كنهارها، وليس في أصولها وأفكارها ما يقتضي كتمانها بل يؤثم من يكتتم الحق ويخفيه، فما فائدة أن تتحول قواعد الإسلام وتعاليمه إلى تعاليم باطنية خفية تمكن كل صاحب غرض من تأويلها على هواه؟ وقد انتهت التعاليم الباطنية بفناء مذاهبها ومريديها؛ لاتجاههم نحو سراب لا يؤمن به إلا قطعان الجهلة والغافلون عن الحق أو طلاب الدنيا المستغلون تلك القطعان.

لقد سلك بعض طلاب العلم مؤخراً بعد أن أدركوا هذه الحقيقة إلى محاولة إنكار بعض شخصيات الرواة أو الرجال الذين تحلق في عنقهم بعض أوائل أصول الشيعة: كعبد الله بن سبأ وغيره، فأنكروا وجود هذه الشخصيات، ولكن هذا المسلك خاطئ من أصله؛ لأنه ينفي الغلاف الخارجي، ويبقي على الحقيقة الباطنية التي خلفها السبئية للتشيع، والصحيح معالجة الجذور والأصول لا القشور الخارجية. وقد قام البعض بجهد مشكور كما فعل السيد هاشم معروف الحسيني في دراساته في الحديث والموضوعات، وأوضح بأجلى بيان أولئك الكذبة والمنافقين والغلاة من الرواة وأوضح توثيق البعض لهم، ولكن هذا العمل برغم أهميته يعد وسيلة للوصول إلى الهدف، والهدف هو معرفة الحقيقة وكشف تلك الأفكار التي بذرها هؤلاء الكذبة منذ القديم، فأصبحت أصولاً لمن جاء بعدهم لا يقدرّون الخروج عليها.

ومن قدماء أصحاب الرجال الذين كشفوا أحوال الرواة ما كتبه ابن الغضائري (أحمد بن الحسين)، حيث خص بالكتابة (الضعفاء) ولصراحة ما فيه من انكشاف الكذابين والغلاة عمد بعض علماء الشيعة إلى نفي نسبة الكتاب لصاحبه لأسباب واهية، ومنهم المجلسي وغيره.

هل كان الأئمة يطلبون المستحيل من الرواة الذين يفدون إليهم فيما يتعلق بالنص المنقول؟

هل يعقل أن يطلب الإمام من الراوي أكثر من الصدق فيما ينقل عنه فيما يخص قواعد الدين وتعاليمه وفتاواه؟ لقد أوردنا الكثير من أقوال الإمام الصادق وشكواه من كذب الرواة عليه ولعن بعضهم بالاسم والفعل معاً.

لقد تفتق ذهن الكذابين على الأئمة والإسفاف في تضليل الشيعة إلى أن يرووا عن الإمام الصادق قوله: «إني لأحدث الرجل الحديث فينطلق فيحدث به عني كما سمعه، فاستحل به لعنه والبراءة منه»^(١).

ويعلل النعماني ذلك (لأن الكلام عن الغيبة) أن الإمام «يريد أن يحدث به من لا يحتمله، ولا يصلح أن يسمعه». لماذا؟ هل دين الشيعة غير دين الإسلام المعروف الواضح؟ إن النعماني لما تأصل في ذهنه وعقيدته فكرة الغيبة التي أنكرها جمهور المسلمين اعتبرها مما لا تصلح أن يحدث بها كل إنسان أنها سر من أسرار المذهب؛ لأنها مخالفة لما اعتقده المسلمون، ولما سمعوه من نبي الإسلام ﷺ. لماذا لا يكون التأويل أن الإمام ربما قصد ألا يحدث بجميع ما يقول، وخاصة من أمور سياسية أو لها علاقة بالحكم والسياسة أيًا كان من الناس؛ خشية أن يؤدي ذلك الإمام وأتباعه مما هو معروف من أحوالهم ذلك الوقت.

لم يكن دين الإمام الصادق ولا أئمة آل البيت جميعاً ما يوجب ستره أو أن يتحدث به لأناس مخصوصين، وإنما الدافع لذلك أن يستغرق الكذبة والوضاعون، فيحدثون عامة الشيعة بما يعين لهم من أفكار غالية وخزعات خارجة عن التصديق، ثم يوحون إليهم أن تصديقها صعب مستصعب حسب كذبهم بأن ذلك من أقوال الأئمة.

وهكذا تستشري بينهم تعاليم الكتمان التي ربما كانت في الأصل ذات هدف سياسي سري إلى أن تنتقل، فتكون كتمان المنكر في العقيدة والسلوك والأخلاق واستخدام التقية في غير محلها المشروع. بدل من كتمان الأهداف

(١) النعماني. الغيبة. ص ٣٦.

السياسية، فيندفع الرواة الكذابون في إيهام العامة أن الأئمة لديهم علوم عظيمة مخفية كعلم الجفر، وأن لديهم (الجامعة) التي حوت علوم الأولين ومعارفهم. ولهذا، فالأئمة يعلمون جميع اللغات ويعلمون لغات الحيوان والطير، بل وصل بهؤلاء الكذبة أن الأئمة يعلمون الغيب، وجمعوا معجزات ذكروها لكل إمام ترشح بالغلو والكذب، وهي إساءة للأئمة فضلاً على كونها سخرية من عقول من يقرؤها، فهل ينتظرون أحداً يصدقها؟ أم أن النتيجة المطلوبة هي رفضها ورفض التشيع والأئمة معاً؟

وقال بعض علماء الشيعة: إن الميزان في توثيق الرواية ليس الراوي، وإنما إذا كانت روايته قد عمل بها ومشهورة في المذهب تكون مقبولة وتُعدّ حجة ولا حاجة بنا إلى علم الرجال^(١). وهؤلاء هم الإخباريون الذين يوثقون كل ما جاء غالباً في كتب الحديث خاصة الكتب الأربعة. وقد نقض السيد الخوئي حجتهم. واحتج الطوسي نفسه (يعود له كتابان من الأربعة)، فذكر في كتابه الفهرست: «إن كثيراً من المصنفين وأصحاب الأصول كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة»^(٢).

إن كتب حديث الشيعة التي دونها الكليني والطوسي وابن بابويه القمي ذكروا: أنهم دونوها عن كتب الأصول. فأين تلك الأصول؟ ولماذا لم تحفظ كما حفظت غيرها؟ قال البعض: إن كتب الأصول قد اندرست واستعاض الناس عنها بالكتب الأربعة^(٣). واتجه كثير من فقهاء الشيعة ومحققهم على اعتماد صحة ما ورد في الكتب الأربعة، وخاصة الكافي مثل ابن طاوس (رضي

(١) الخوئي. معجم رجال الحديث. ج ١. ص ٣٥.

(٢) الطوسي. فهرست. ص ٢٤.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج ٢٠. ص ٧٥. و ص ٣.

الدين)، والنجاشي والمازندراني (في شرحه للكايفي)، بل ذهب القزويني إلى حد القول: إن الكايفي مروي عن الإمام الصادق بلا واسطة، وإن جميع أخباره حق واجب العمل بها....^(١).

وبخلاف ذلك، فإن جملة من العلماء الآخرين والأصوليين الشيعة لا يذهبون هذا المذهب، فلو أخذنا مثلاً الجزء الأول من كتاب الكايفي، وهو متعلق بآبواب العقل والعلم والتوحيد والحجة لجمعنا الملاحظات الآتية:

١- إن ما يقرب من مئة وثمانين حديثاً في هذا الجزء يرويها علي بن محمد (أحاديث غيبة الإمام الثاني عشر)، فمن هو علي بن محمد؟ إن أكثر من واحد ممن عدوا في الضعفاء اسمهم علي بن محمد. وكذلك الحال في الراوي محمد بن إسماعيل.

٢- ورد في سلسلة الرواة لـ ١٢٢ حديثاً فيها سهل بن زياد الرازي، حيث ضعفه النجاشي والطوسي وغيرهم بسبب كذبه، وإنه مرمي بالغلو، وأنه طرد من قم مع بقية الغلاة. وذكر الخوئي في معجم رجال الحديث، أنه قد ورد له في الكايفي ٢٣٠٤ أحاديث؟

٣- هناك ١٧٢ رواية في هذا الجزء يرويها الكليني عن مجاهيل عن فلان؟ عن سمعه؟....

٤- هناك أكثر من عشرين راوياً ممن ورد ذكرهم في سند روايات الكليني في هذا الجزء كلهم مطعون فيهم من درجة الضعف إلى درجة الكذب والغلو وفساد المذهب، يمكن مقارنة أسمائهم بما ذكر عن بعضهم سابقاً.

(١) محمد أبوزهرة. الإمام الصادق. ص ٤٢٥.

والحقيقة التي يخرج بها الباحث المنصف عن رواة الشيعة حسبما وردت في مصادرهم سبقنا إليها رجل شيعي إمامي عربي متخصص في علم الرجال، وقد كتب كتابه المعروف برجال النجاشي.

كما أن تلك الشهادة اعترف بها أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري، ذلك هو الشيخ الطوسي، تلك الحقيقة المرة نقلها إلينا محمد هادي اليوسفي الغروي في مقدمته لكتاب رجال النجاشي، حاكياً عن كتاب الفهرست عن الطوسي. قال: «... لأن كثيراً من مصنفي أصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة...»^(١). وعليك أن تفكر كيف تكون كتبهم معتمدة، وهي تصدر من أصحاب مذاهب فاسدة؟



(١) النجاشي. رجال. المقدمة ص ٩.